مساهمة مولانا قاسم النانوتوي في الدراسات الإسلامية والتاريخ الإسلامي:

دراسة نقدية

بحث جامعي
لنيل شهادة ما قبل الدكتوراة

إعداد وتقديم
مفيض الرحمن

تحت إشراف
الدكتور رضوان الرحمن

مركز الدراسات العربية والأفريقية
مدرسة دراسات اللغة والأدب والثقافة
جامعة جواهر لال نهرو
نيو دلهي-110067

2007م

مركز الدراسات العربية و الأفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi-110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067

Dated: 26.07.2007

DECLARATION

I declare that the work done in this dissertation entitle "**MOSAHAMATO MAULANA QASIM NANOTWI FI AL-DIRASAT AL-ISLAMIYAH W AL-TAREEKH AL-ISLAMI: DIRASAH NAQDIYA (Contribution of Maulana Qasim Nanotwi in Islamic Studies and Islamic History: A Critical Study)**" by me is an original work and has not been previously submitted for any other degree in this or any other University/Institution.

Mufizur Rahman
(Research Scholar)

Dr. Rizwanur Rahman
(Supervisor)

Prof. Faizanullah Farooqi
(Chairperson)

Gram : JAYENU Tel.: 2670 4253 TELEX : 031-73167 JNU IN Fax : 91-11-2671 7525

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــداء

إلى أبي الكريم
وأمي الحنون

رب ارحمهما
كما ربياني صغيرا

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا، وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا، والصلوة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين والصحابة أجمعين وعلى من تبعهم باحسان إلى يوم الدين.

لقد شهد التاريخ أن مسلمي الهند أرهف شعورا دينيا، وأرق وعيا إسلاميا وأشد غيرة على الإسلام من المسلمين في البلاد الإسلامية الأخرى لحرصهم الشديد على التمسك بحضارتهم الإسلامية العريقة وبشعائرهم الدينية، ولذلك كانت الهند في طليعة تلك الدول الإسلامية التي كانت تواجه سيطرة الاستعمار البريطاني وتحاول للتحرر من السيطرة الغاشمة، وكان من نتائج هذه الغيرة الدينية التي يمتاز بها المسلم الهندي مبادرتهم إلى قبول تحديات التبشير والتنصير التي كانوا يواجهونها في شبه القارة الهندية بعد قيام الحكم الانجليزي وظهور عدد من الشخصيات البارزة الذين لم يكافحوا السيطرة الإنكليزية بالسيف فحسب بل أنهم واجهوها ومكايدها بالقلم

وباللسان أيضاً، ومن هؤلاء العباقرة الذين سجلوا أسماءهم في سجل التاريخ بالمغامرات العلمية والبطولية الشاه ولي الله الدهلوي، والشاه عبد العزيز الدهلوي، والشيخ رحمت الله الكيرانوي، والحاج إمداد الله، ومنهم حجة الإسلام الإمام محمد قاسم النانوتوي.

أما الشيخ النانوتوي فهو في طليعة هؤلاء الأعلام الذين كافحوا الاستعمار الانكليزي فإنه قاد حركة التحرير والثورة الشعبية المعروفة ب "غدر" 1857م في ساحة تهانه بهون وشاملي، وأبلي فيها بلاءا حسنا، وبعد إخفاق هذه الثورة وفشلها قام بقيادة طليعة العلماء لإيقاف حركة التبشير والحركات الضالة التي قد ظهرت بمساعدة الإنكليز، وأسس هو وأصدقاؤه مدرسة إسلامية في ديوبند لتكون معقلا للمسلمين، ثم مال إلى المناظرة والرد على الاعتراضات والافتراءات الفاسدة التي أثارتها تلك الحركات ضد الإسلام والمسلمين والعقائد الإسلامية ومباديها، ثم إنه ركز اهتمامه على مكايد أهل التشيع واعتراضاتهم، وكذلك كل نوع من البدعات والخرافات والتقاليد غير الإسلامية السائدة في المجتمع الإسلامي الهندي، واتخذ التأليف والتصنيف وسيلة للمكافحة. واتخذ العقائد والكلام موضوعا لكتاباته، حتى خلف من ورائه تراثا علميا ضخما، وأصبح قائد الطلائع العلمية التي برزت في القرن التاسع عشر بأعماله النبيلة ومؤلفاته الجليلة.

قد اختار الشيخ النانوتوي لنفسه أسلوبا يختلف عما يسير عليه الكتاب والمؤلفون وأسس منهجا جديدا في التصنيف والتاليف، وحرر نفسه من

جميع القيود والأغلال، وأغنى نفسه عن جميع التقاليد والمحاكات، واتخذ أسلوبا علميا كلاميا فلسفيا في إثبات الحق، واعتمد على الدلائل العقلية والفلسفية والكلامية أكثر من الدلائل النقليةِ، فجميع مؤلفاته ومصنفاته مثابة المراجع والمصادر ونموذجا رائعا للذين يبذلون جهودهم في المكافحة ضد الأفكار الغربية وهجماتها على العقائد الدينية الإسلامية واعتراضات المستشرقين على الإسلام والمسلمين في دينهم وعقائدهم.

ولكن الاستفادة من مؤلفات الشيخ النانوتوي وفهمها لا يمكن للعلماء الكبار وأهل العلم إلا بدقة بكونها في أسلوب فلسفي كلامي في لغة معقدة، فكيف يمكن الوصول إليها لعامة الناس وقليلي البضاعة في مجال العلم؟ فكانت الحاجةِ أن يتم تسهيل وتشريح جميع مصنفاته في أسلوب عصري بلغة سهلة.

ولكن مع الأسف الشديد أنه لم يقم أحد بهذا الأمر المهم حتى الآن، وتكاد تفقد هذه الشخصية الفذة في صفحات التاريخ ولا يعرف الجيل الجديد شخصيته كمجاهد ضد الاستعمار الإنجليزي، ومناظر ضد الأساقفة والحركات الضالة، ومؤلف كبير وخطيب بارع. ويدل على هذا أننا قد بحثنا عن جميع مؤلفاته في المكتبات الواقعة بمدينه دلهي وخارجها فلم نعثر على جميعها إلا على بعضها.

فهذه هي الأسباب التي حرضتني على أن أكتب حول هذه الشخصية النيرة ودعاني إلى أخذ هذا الموضوع لنيل الشهادة ما قبل الدكتوراة لكي

أقوم بإلقاء الأضواء على شخصيته ليعرف رجال الأوساط العلمية شخصيته في ضوء مجهوداته العملية ومساهماته العلمية وتراثه العلمي في الدراسات الإسلامية.

هذا البحث يشتمل على مقدمة، وثلاثة أبواب رئيسية، وخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع، ومحتويات البحث.

وفي الباب الأول قد ألقيت الأضواء على تاريخ الإسلام والمسلمين في الهند حتى عصر الشيخ قاسم النانوتوي، وعلى الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في الفترة التي ولد وعاش فيها الشيخ.

والباب الثاني يشتمل على ذكر حياة الشيخ النانوتوي ورحلته التعليمية والتدريسية، ومقاومته ضد الاستعمار الإنكليزي ومساهمته في ثورة عام 1857م، وتأسيس دار العلوم بديوبند ووظائفه الدينية وأخلاقه الحميدة.

أما الباب الثالث فهو يدور حول مساهمته في الدراسات الإسلامية ومؤلفاته ومصنفاته العلمية، فقد قمت فيه بإلقاء بعض الأضواء على تاليفاته والدواعي والأسباب التي كانت وراء تاليف جميع الكتب، والأهداف التي حققها المؤلف من تاليفها، وقد أبرزت عن أهم ميزات كتبه البارزة، وسلكت في البحث مسلك الدراسة والنقد والتحليل.

ثم تلي الخاتمة التي هي حصيلة قراءتي ودراستي ومطالعتي في هذا الموضوع.

ثم ألحقتها قائمة المراجع والمصادر التي ساعدتني في إعداد هذا البحث.

وأثناء البحث لقد واجهت بعض العراقيل والمعاناة لسبب عدم توافر المواد في المكتبات في دلهي وخارجها ومع ذلك قد حاولت قدر استطاعي أن يكون هذا البحث أقرب إلى الكمال، وليس الكمال إلا الله.

وأخيرا أخص بالشكر والامتنان إلى استاذي ومشرفي الدكتور السيد رضوان الرحمن الذي أرشدني إلى طريق الصواب والسداد وأنقذني من مواطن الضعف والأخطاء ولم يدخر وسعا في تقديم مساعدات غالية وآراء سديدة في الوصول إلى النتائج الإيجابية، وشجعني وساعدني في حين لآخر في إزالة العقبات والعراقيل فادعو الله أن يمتعه بدوام الصحة والعافية.

وأشكر من أعماق قلبي جميع الاساتذة منهم الأستاذ السيد إحسان الرحمن والأستاذ فيضان الله الفاروقي و الأستاذ أسلم الإصلاحي والدكتور مجيب الرحمن الذين ساعدوني علميا وخلقيا وتربويا، وأدعو الله أن يتيح لنا فرصة للاستفادة من علمهم وفضلهم ونصحهم.

وأخيرا أشعر بأن من واجبي أن أقدم الشكر إلى أصدقائي الذين دعموني علميا وماديا، وساعدوني في جميع المراحل، فأنا اتقدم بشكري خاصة إلى إخوتي اختر عالم ومحمود عالم صديقي وأسجد نواز الفلاحي الذين ساعدوني بتوفير المواد المتعلقة ببحثي كما ساعدوني بآرائهم السديدة.و من الواجب أن أقدم شكرا جزيلا لمولانا محمد ساجد القاسمي

الأستاذ في دار العلوم بديوبند حاليا الذي وفر لي المواد المهمة و أرشدني إلى كتب متعلقة بالشيخ النانوتوي ، و الشيخ عبد الحميد النعماني والأخ عبد الملك.

هذا جهد متواضع قمت به لإعداد هذه الرسالة لنيل الشهادة ما قبل الدكتوراة، وأدعو الله أن يكلله بقبول حسن، وهو العلام القدير.

مفيض الرحمن
2007/07/20م

البـــــاب الأول

المسلمون في الهند

الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية في عهد الشيخ مولانا قاسم النانوتوي

قبل أن نتحدث عن الشيخ مولانا قاسم النانوتوي ومساهماته في الدراسات الإسلامية من الواجب أن ألقي الأضواء على تاريخ الهند حضارة وثقافة مع إلقاء الضوء على تلك الفترة التي عاش فيها الشيخ النانوتوي ونشأ وترعرع فيها وكيف كانت الأحوال والظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية للبلاد عامة والمسلمين خاصة، لأن البيئة والأحوال والظروف التي يعيش فيها الإنسان لها أهمية كبرى في تكوين شخصيته وإنه يتأثر بالوقائع والأحداث التي تحدث في الأسرة والمجتمع وفي البلاد.

فنظرا إلى هذه الحقيقة قد أردت أن ألقي الأضواء على تلك الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية بقدر من التفصيل كما عزمت أن أقوم بتوضيح تلك العوامل والبواعث التي جعلته مجاهدا عظيما وبطلا حرا في سبيل تحرير البلاد ماديا وفكريا.

الهند قبل ظهور الإسلام

هذه هي ميزة ثقافة الهند أنها تجمع في حضنها الأفكار ومعتقدات ومذاهب مختلفة، فانها تجمع العقائد والعوائد والعبادات والمناهج والفنون الجميلة والأديان والمذاهب الفلسفية التي كانت رائجة في مختلف الأزمان للهيئة الاجتماعية.

أما حالتها الدينية فقد "كانت الشعوب الهندية قبل الإسلام تدين بأديان وثنية كثيرة جدا، أشهرها البراهيمية والبوذية، وهما تنسبان إلى (براهما وبوذا)، وجميع ديانات الهند الوثنية تجنح إلى عبادة عدد من الآلهة البشرية والحيوانية وقوى طبيعة، فبعضهم يعبد بوذا، وبعضهم يعبد حيوانا، وبعضهم يعبد نهرا، وأعلى الحيوانات عند جميعهم تقديسا البقرة. وكل الديانات الوثنية تؤمن بالتناسخ وقانون الجزاء، وبأن نظام الطبقات الأربع من الله تعالى، ولا يجوز لأحد تغيير طبقته".[1]

فتطورت عقائد دينية وعقيدة وحدة الوجود وراجت عبادة الأصنام والأوثان وراجت عبادة وشنو وشيوا حتى بلغت الوثنية المتطرفة أوجها في القرن السادس الميلادي. فعدد الآلهة في ويدا ثلاثة وثلاثون حتى بلغت في هذا القرن إلى ملايين. "وآلتهم كثيرة، أعظمها "برهم"، ويزعمون أنه في

الغالب نائم، وتارة يستيقظ، وفي إحدى اليقظات اشتق منه برهما، ووشنو، وشيوا وآلهة أخرى وكذلك جميع دقائق الهيولى في الأرض، والشمس، والقمر، والنجوم"[2]

الحالة الاجتماعية

إن الحياة الاجتماعية الهندية كانت منقسمة إلى قسمين: رفيع ووضيع، وأما نظامهم الطبقى فـ "تقسم الشعب إلى طبقات متبانية على شكل هرم، فتصنف الكهنة في أعلاه، يليهم المحاربون، فالزراع، فالخدم. وهناك المنبوذون الذين ترفضهم كل طبقة، وتحتقرهم كل جماعة، فلا يلتقون بهم، كما أن الطبقات الأثري ينفصل بعضها عن بعض بفاصل كبير"[3]

أهل البلاد كانوا منقسمين إلى أربع طبقات ممتازة وهي:

(1) البرهمن (Brahmans) طبقة الكهنة ورجال الدين، فكانت عقيدتهم أن الآلهة قد خلق البرهمن لإصلاح العالم من فمه، ووظيفته تعليم "ويدا" وتقديم النذور للآلهة، وتعاطي الصدقات.

(2) الكشاتريا (Kshatrya): وخلقه الخالق من سواعده ووظيفته حراسة الناس، والتصدق وتقديم النذور ودراسة "ويدا" والعزوف عن الشهوات.

(3) وخلق الفيشو (Vaishyas) من فخذه ووظيفته رعى السائمة والقيام بخدمتها وتلاوة ويدا والتجارة والزراعة.

(4) وخلق الشودرا (Shudras) من أرجله، وليس لشودر إلا خدمة هذه الطبقات الثلاثة.

وكان هناك بعض طبقات أخرى للمنبوذين (untouchables)، وإن التقشف والزهد عن الدنيا كان سائدا من بين رجال الدين.

هكذا كانت أحوال الهند الاجتماعية. وقد اتفق المؤرخون على "أن أحط عصور الهند التاريخية هو عصر إزدهار الديانات الوثنية فيها، من حيث تعدد الآلهة وعبادة الشهوات الجنسية وانتشار النظام الطبقى الذي بلغ النهاية في الظلم وفي قسوة الإنسان على أخيه الإنسان"[4]

وفي غضون ذلك بزغ نور الإسلام في جزيرة العرب وأضاءها بالتوحيد ورسالته، فوصل هذا الدين الحنيف إلى الهند على أيدى التجار والدعاة والمبلغين ونال قبولا وترحيبا من جميع الأوساط الهندية. يقول الباحث الهندي المعروف K.M. Panikkar وهو يتحدث عن تأثير عقيدة التوحيد الإسلامية في عقلية الشعب الهندي وديانته، "من الواضح المقرر أن تأثير الإسلام في الديانة الهندوسية كان عميقا في هذا العهد (الإسلامي)، أن فكرة عبادة الله في الهندوس مدينة للإسلام، أن قادة الفكر والدين في هذا العصر وإن سموا آلهتم بأسماء شتى قد دعوا إلى عبادة الله، وصرحوا بأن الإله واحد وهو يستحق العبادة، ومنه تطلب النجاة والسعادة، وقد ظهر هذا التأثير في الديانات والدعوات التي ظهرت في الهند في العهد الإسلامي كحركة Bhakti ودعوة كبير داس"[5]

دخول الإسلام في الهند

كانت العلاقات بين الهند والدول العربية قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم قائمة على أساس التجارة وكانت هذه العلاقات وثيقة وهي ترجع إلى عدة قرون قبل الميلاد، وقد لعب التجار العرب دورا هاما في توطيد هذه العلاقات الثقافية والحضارية بين الهند والبلاد العربية، وبفضل هذه التجارة الرابحة والاتصالات المستمرة بين هاتين الحضارتين العظيمتين شيد العرب حضارة جديدة مستقلة.

أما هذه العلاقات التجارية بين الهند والعرب فيشهد لنا التاريخ أن بدايتها ترجع إلى عهد سليمان عليه السلام. فكانت السفن التجارية تصل إلى "أوفير" مرة في كل ثلاث سنوات في عهد سليمان عليه السلام، وتحمل من هناك الذهب والفضة والمجوهرات والعاج والقردة والطاؤوس وغيرها، يقول الدكتور تارا شند: "إن الروابط التجارية بين الهند والبلاد العربية: القطر العربي وفلسطين ومصر قديمة جدا، فالملك سليمان عليه السلام كان يستورد الذهب من "أوفير" (بيء بور الحاضرة) وكذلك الفضة والعاج والقرود والطواويس من بلاد الهند".[6]

وجاء في دائرة المعارف البريطانية: "يرجع رخاء البلاد العربية الجنوبية الغربية في ذلك العصر إلى التجارة بين مصر والهند، إذ كانت المراكب القادمة من الهند ترسو هنا وتنقل حمولتها إلى الساحل الغربي. ثم تحولت التجارة عن هذا الطريق لأن البطالة فتحت طريقا مباشرا بين

الإسكندرية والهند"[7]

وهكذا استمرت العلاقات التجارية بين الهند والبلاد العربية حتى استولى الفرس على النشاطات التجارية في بحر العرب في القرن الذي بعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم وازداد ترداد سفنهم التجارية إلى موانى الهند، وكذلك بين الهند والمدائن في شواطئ الهند. فهذا التعامل التجاري والتبادل اللغوي بين الهند والدول العربية أصبح وسيلة للعلاقات السياسية والدينية.

ولما بزغ نور الإسلام في جزيرة العرب وبعث النبي صلى الله عليه وسلم بالدين الإسلامي في القرن السابع للميلاد ودخل العرب في دين الله جماعات وفرادى كانت تلك الفترة العصر الذهبي للعلاقات التجارية وغيرها بين الهند والعالم العربي، هؤلاء التجار العرب الذين كانوا يترددون إلى المناطق الساحلية الغربية للهند وتغيرت حياتهم الدينية، واصطبغوا أنفسهم بالصبغة الإسلامية، حملوا معهم الدين الجديد إلى البلاد التي كانوا يترددون إليها لغرض التجارة، وأصبحوا وسيلة لنشر الإسلام والرسالة المحمدية في تلك البلاد. يقول تارا شند: "ظهر الإسلام في أواخر القرن السابع، واجتمعت القبائل العربية تحت سلطة مركزية، فاندفعت بقوة كبيرة حركة التوسع العربي التي كانت بدأت قبل الإسلام ودوخت الجيوش العربية بسرعة مدهشة في بلاد الشام وفارس، وبدأت تحوم حول تخوم الهند، وقد أسرع التجار المسلمون إلى الانتفاع بالورثة التجارية البحرية

التي خلف لهم الفرس، وأخذت الأساطيل العربية التجارية تمخر في البحار الهندية"[8]

فشدت العلاقات الهندية والعربية بعض البعض بعد ظهور الإسلام، وأصبحت أكثر قوة وصلابة، وأصبح الإسلام ينتشر على أيدي هؤلاء التجار بكل بساطة بين الشعوب الوثنية، وإنهم لم يألوا جهدا في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في الهند، وبذلوا جهودا مكثفة في نشر الدعوة الإسلامية وتعاليم الإسلام في أرجاء الهند، وقد اعترف القس "ورنز" بهذا فقال: "ومن المحقق أن التاجر المسلم يبث في هؤلاء الوطنيين مع بضاعته التجارية دينه الإسلامي وحضارته الراقية"[9]

وقد لعبت السرايا والغزوات التي قام بها الغزاة دورا حاسما في نشر الإسلام والدعوة الإسلامية في الهند في عهد الخلفاء الراشدين، وقد بدأت هذه الغزوات من طريق البحر إلى الشواطي الشمالية الغربية للهند، وأخذت الأساطيل العربية تمخر في البحار الهندية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه "فولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عثمان بن أبي العاص الثقفى البحرين وعمان عام خمس عشرة، ووجه أخاه الحكم إلى البحرين ومضى إلى عمان، فاقطع جيشا إلى تانه، فلما رجع الجيش كتب إلى عمر يعلمه ذلك، فكتب إليه عمر: يا أخا ثقيف حملت دودا على عود، وإني لأحلف بالله أن لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم، ووجه الحكم أيضاً إلى بروص، ووجه أخاه المغيرة بن أبي العاص إلى خوربيل، فلقي العدو

وظفر، فلما ولي عثمان بن عفان رضي الله عنه وولى عبد الله بن عامر بن كريز العراق كتب إليه يأمره أن يوجه إلى ثغر الهند من يعلم علمه وينصرف إليه بخبره، فوجه حكم بن جبله العبدي، فلما رجع أو فده إلى عثمان، فسأله عن حال البلاد فقال: يا أمير المؤمنين قد عرفتها وتنحرتها، قال: فصفها لي، قال: "ماؤها وشل، وثمرها دفل، ولصها بطل، إن قل الجيش فيها ضاعوا، وإن كثروا جاعوا، فقال لـه عثمان: أخابر أم ساجع، قال: بل خابر، فلم يغزها أحد، فلما كان آخر سنة 658م وأول سنة 659م في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه توجه إلى ذلك الثغر الحارث بن مرة العبدي متطوعا باذن علي، فظفر وأصاب مغنما وسبيا"[10]

ويقول الدكتور تارا شند: "ظهر أول أسطول مسلم في المياه الهندية سنة 636م أيام الخليفة عمر، وذلك لما أرسل والي البحرين وعمان جيشا من طريق البحر إلى تانا، ولم يستحسن الخليفة هذا العمل فوبخ الوالي عليه، وفي هذه الأيام نفسها توجهت بحرية أخرى إلى بروش ودابول"[11]

فانتشر الإسلام في مناطق مالابار وجنوب الهند عموما ومناطق أخرى من شمال الهند خلال الفترة الأولى، وكانت السند مركزا عظيما للأنشطة العربية الدينية والسياسية. ثم أخذت هذه الحملات شكلا جديا في عهد نبي أمية وقامت الدولة الأموية بحرب شاملة ضد حكومة السند، ومن أشهرها تلك الحملة التي قام بها محمد بن قاسم الثقفى في أواخر القرن الأول الهجري، وقتل ملك السند "داهر"، وألحق السند كاملة وجنوب

البنجاب بالخلافة الإسلامية، وأنشأ دولة إسلامية في هذه البقعة ذات الثقافة القديمة العريقة. ثم توالت الغزوات الإسلامية على الهند والسند، واستمرت العلاقات التجارية والثقافية والحضارية بين الهند والدول العربية بواسطة التجار العرب والدعاة المسلمين والصوفيين حتى بلغت إلى أوجها في الخلافة العباسية، ثم توقفت هذه الغزوات تماما، وانصرف الناس إلى التجارة والدعوة إلى الإسلام والمهمات الأخرى.

"وقد أنشأ هؤلاء التجار العرب جاليات ومحلات تجارية في سواحل سرنديب ومالابار لتوطيد العلاقات التجارية البحرية، وقد وصف العهد الإسلامي بعهد الحوار الثقافي بالمعنى الحقيقي للكلمة، وبلغت العلاقات بين الهند والعالم العربي ذروة جديدة خاصة في مجالات الفكر والثقافة والأدب خلال العصر العباسي الذي تعرف فيه العرب على الحكم والفلسفات والديانات والثقافات والعلوم والفنون الهندية من خلال التراجم العربية للكتب السنسكريتية وما سجله السياح العرب من إنطباعاتهم عن الهند، وقد تأثرت الهند أيضا بالحضارات والثقافات الإسلامية التي تركت بصمات عميقة على أفكار الهنود وثقافاتهم ولغاتهم وآدابهم".[12]

وفي جانب آخر لقد بذل الزهاد والمتصوفون والأتقياء المسلمون مجهوداتهم المكثفة ولعبوا دورا هاما في نشر الدعوة والعقيدة الإسلامية والحضارة والثقافة الإسلامية في جميع أنحاء البلاد الهندية، وفي جانب آخر لقد اشترك الباحثون العرب والهنود في نقل المعرفة العلمية والفلسفة

الهندية إلى العرب عن طريق ترجمتها إلى العربية من اصلها السنسكريتية وذلك خلال العصر العباسي، وحصلوا على مختلف العلوم والفنون مثل الطب والحساب، وعلم الفلك والنجوم والفلسفة وعلم البيان والرواية والقصة وأدب الحكمة وساهمت الهند في تدعيم وتركيز الحضارة الإسلامية في شتي النواحى العلمية والأدبية والفلسفية والدينية.

ثم جاء محمود الغزنوي عن طريق ممر خيبر، "وهكذا إنحسرت الحملات الإسلامية من الغرب على أرض الهند مدة، حتى جاء "محمود الغزنوي" فبدأ يتجه للجهاد في سبيل الله في الأرض التي تشيع فيها عبادة الأصنام، ووجه أولى حملاته إليها من "غزنة" سنة 392هـ/1001م وتابع حملاته وانتصاراته بعد ذلك، حتى ضم إلى حكمه جزءا كبيرا من أرض الهند — من الغرب ومن الشمال والجنوب الغربي"[13]

"ويقال إن محمد الغزنوي قد قام بسبع حملات على الهند، وكانت أولى حملاته ضد حكام هندو شاهي بولاية بيشاور وبنجاب"[14]

قد تقدم محمود الغزنوي عن طريق ممر خبير وتمكن من فتح قنوج وغوجرات، ينفرد عصره للفتوحات السياسية إلى جانب الفتوحات العلمية. قد انتهت الإمارة الغزنوية على خسرو ملك، وقد استغرق حكومة الغزنويين حوالي مأتي عام . وبعد الغزنويين تولى زمام الحكومة الغوريون، وأقاموا بناء دولتهم على أنقاض الدولة الغزنوية، واستمرت الفتوحات الإسلامية في بلاد الهند حتى بدأ عهد المماليك، ومؤسس هذه الدولة قطب الدين أيبك، فإنه

فتح مدينة دهلي عام 1206م واتخذها عاصمة لدولته، فأصبحت دهلي مركزا للحكومة الإسلامية الهندية والعلوم الإسلامية. ثم جاء عهد السلاطين الخلجية في 1290م، ومؤسس هذه الدولة هو جلال الدين فيروز الخلجي، وبعد وفاته ارتقى عرش الملك علاء الدين الخلجي الذي كان مدة حكومته عشرين عاما. ثم ظهرت إمارة أسرة تغلق وأخذ زمام الحكومة غياث الدين تغلق عام 1320م وامتدت حكومة أسرة تلغق إلى 1412م. ثم جاء عصر اللوديين، وكان آخر أمير هذه الأسرة إبراهيم اللودي الذي كان متصفا بمحاسن حميدة، ولكنه قد أصبح عرضة لمستشاريه الكاذبين الذين أساؤا ظنه بأعضاء دولته، هذا هو الذي أدى إلى دعوة بابر إلى الهند، فجاء بابر إلى الهند على دعوة بعض الأمراء، فهزم اللوديين في ساحة باني بت عام 1526م واستولى على عرش دهلي.

"ووصل المغول إلى الهند بقيادة تيمور لنك عام 1398م فانتشرت الفوضى، ثم حكم اللوديون الهند، ومنهم اسكندر شاه الذي عمل على نشر الإسلام، ثم عاد المغول من جديد، وقتلوا آخر ملوك اللوديين عام 1526م، واستقر لهم الأمر، وكانوا حديثي العهد بالإسلام فكان منهم المصلحون، ومنهم المفسدون، ومنهم أكبر الذي نقل العاصمة إلى آغره وأراد أن يضع دينا جديدا تقربا من البراهمية يجمع بينها وبين الإسلام، فوقف العلماء في وجهه، ووجه إبنه الذي خلفه عام 1606م وهو جهانكير، وجاء حفيده أورنكزيب عام 1658م فألغى جميع منكرات أبيه وجده"[15]

TH-17982

وكان عهد الدولة المغولية أزهى العصور الإسلامية في الهند قوة واتساعا، وحضارة وعلما، وخضعت الهند كلها للحكومة المغولية، وهذا لم يحدث في الحكومات السابقة، فبلغت الحكومة المغولية إلى أوجها قوة وعظمة في عهد جهانكير حتى أن هركنتر سفير ملك إنكلترا جيمس الأول مكث سنتين يحاول مقابلة جهانكير ولكنه لم يفز بذلك، فتوسل إليه بأن يأخذ منه كتابا إلى ملك إنكلترا فرد عليه الوزير الأول "إن مما لا يناسب قدر ملك مغولي مسلم أن يكتب كتابا إلى سيد جزيرة يسكنها صيادون يائسون"[16]

لقد أسس السلطان ظهير الدين محمد بابر الدولة المغولية، إنه كان سليل جنكيز خان وتيمور لنك، إنه حاول غير مرة أن يسيطر على سمر قند ولكن خاب أمله في المرة الأولى عام 19-1518م، ولكنه ظفر بالسيطرة عليها في عام 1526م واستغرقت مدة حكومته ست عشرة سنة، وتوفي في عام1530م وتولى عرش المملكة إبنه همايون.

ولما مات بابر وليّ إبنه همايون. قد اشترك همايون مع أبيه في معظم المعارك وإنه فتح أكثر بلاد الهند، وخرج عليه شير شاه السوري، وغزا على دهلي في عام 1540م، فانهزم همايون، وتولى شير شاه عرش المملكة، ولكن مدة حكومته لم تدم إلا خمس عشر سنة حتى استردها همايون في عام 1555م، وتوفي بعد سنة واحدة. وبعد همايون أخذ أكبر زمام الحكومة في يده في عام 1556م في عمر يناهز أربع عشرة سنة،

وحكم أكبر خمسين عاما، مع أن أكبر كان أميا ولكنه دبر أمور المملكة حيث أنه حير الناس وأقام دولة عظيمة ، فيقول العلامة عبد الحي الحسني: "وهو أول من أظهر بالهند هيبة الملك بسعده، وأسس قواعد السلطة بعد الخلجي والسوري، ومهدها لمن بعده، وطالت أيام دولته حتى لا يعلم لأحد من السلاطين أنه مكث في الملك هذه المدة، ورزق من السعد والإقبال ما لم يرزق أحد من الملوك، واجتمع لديه من أهل السيف والقلم مالم يجتمع عند غيره بعد الخلفاء العباسيين، وفي أيامه فتحت بلاد كشمير، وبلاد السند، وبلاد بنكاله، وبلاد كجرات، ومالوه، وبرهانبور وغيرها، مات سنة أربع عشرة وألف، وكانت مدته إحدى وخمسين سنة"[17]

وبعد أكبر اعتلى عرش المملكة إبنه جهانكير 1605م إنه قدورث حسن التدبير عن أبيه، استقل بالملك نحو اثنتين وعشرين عاما وتوفي 1627م. وبعد وفاة جهانكير تولى الحكومة إبنه شاهجهان، كان شاهجهان رجلا مثقفا، وكان عصره عصر رخاء وغناء وإنه قد اعتنى بالمباحث العلمية بالإضافة إلى الانتصارات الوطنية. يقول العلامة عبد الحي الحسني: "وافتح بالعدل والسخاء والكرم ورفع سجدة التحية التي اخترعها جده أكبر شاه، وأزال المظالم عن البلاد وعمرها وأخمد الفتنة والبدعة، وأسس المساجد والرباطات، وكان كثير الإحسان إلى السادة وأهل العلم، قصده الناس من جميع البلدان، فغمرهم بإحسانه، وكان عصره أحسن الأعصار، وزمانه أنضر الأزمنة"[18] وتوفي شاهجهان في عام 1658م،

وكانت مدة حكومته إحدى وثلاثين عاما.

وقد ارتقى العرش محي الدين أورنك زيب بعد أبيه شاهجهان في عام 1658م، وهو أمير عظيم من الأمراء المغوليين في الهند، فإنه وحد الهند كلها تقريبا تحت حكمه، وبلغ الحكم الإسلامي الهندي أوجه بعد ذلك، إنه حكم البلاد حكما إسلاميا لا يوجد لـه نظير من قبل ولا بعد، مات أورنك زيب سنة 1708م، وله تسعون عاما من عمره، ومدة حكومته خمسون عاما.

وبعد أورنك زيب أصبحت الامبراطورية المغولية تضعف، وتولى بعده خلفاء ضعاف، فاضمحلت الدولة الإسلامية في الهند، وبدأت عوامل الضعف تدب في شرايين الدولة المغولية في الهند. "ومما يؤسف لـه أن هذا الإمبراطور كان آخر إمبراطوري قوي، في أباقرة المغول المسلمين فقد جاء بعده خلفاء ضعاف لم يكونوا في مثل قوته وحزمه وتدبيره، فأخذت الدولة الإسلامية تتهاوى من فوق القمة التي أقعدها فوقها... وبدأت رقعتها الواسعة تتفتت شيئاً فشيئاً ويستقل هنا أو هناك أمير بحكم ولايته وتتاح الفرصة لبعض الأمراء الهندوس والسيخ ليجمعوا الجيوش ويشنوا حروبا على الدولة الإسلامية، ويقتطعوا لهم من جسمها الكبير ولايات يحكمونها، والملوك المسلمون في دهلي يضعفون شيئاً فشيئاً وينحسر نفوذهم وينكمش، حتى لم يعد لهم مع الأسف سلطان ولا نفوذ."[19]

فكانت وفاة أورنك زيب معلنة بانهيار الدولة الإسلامية، وبعد وفاته

وقعت الدولة في الفوضى، فأخذ المرهتها والأفغان والسيخ والجات والراجبوتيون والأمراء المسلمون في اقتطاع ممالك مستقلة لهم، ولم يبق لخلفاء اورنك زيب سوى سلطة رسمية، وقد ظهر بعد القرن الثامن عشر الميلادي على حطام الإمبراطورية المغولية ونظامها السياسي عدد كبير من القوات المسلحة وشبهها أمثال بنغال ودولة أودة وحيدر آباد الدكن ودولة ميسور والمرهتها.

فِأصبحت هذه القوات المحلية من العوامل الداخلية التي أدت إلى إنهيار الدولة المغولية بالخروج ضد الحكومة المركزية والتعاون مع الإنجليز للسيطرة على الهند.

وكان الغزوان الفارسي والأفغاني من العوامل الخارجية التي قضت على الدولة المغولية.

فقد قام نادر شاه بالهجوم على الأراضي الأفغانية التابعة للهند عام 1738م وتقدم إلى البنجاب وفتح بيشاور ثم أحاط لاهور في يناير 1739م، وفي مارس 1739م دخل نادر شاه مدينة دهلي وأباح المدينة لجنوده وأشاع القتل والنهب والسلب، وعاد إلى بلاده بعد أن نهب كل ما يستطيع من كنوز وأموال طائلة. ثم قام أحمد شاه الأبدالي بالغزو على الهند من ناحية الشرق وزحف على الهند في عام 1748م، وهجم على البنجاب واستولى عليها في عام 1749م وعاث فيها فسادا.

وفي جانب آخر كانت شركة الهند الشرقية التي تم تأسيسها في عام

1600م، ودخلت الهند لغرض التجارة تترقب الفرص حتى تمكنت من احتلال البر، فكان أول بلد نزله أصحاب الشركة هو مدراس ثم أخذوا يحتلون البلد بعد البلد بإسم التجارة، ثم أخذت الشركة تبتاع الأراضي وتبتني القصور والحصون للدفاع عن مراكزها التجارية، ثم اتسعت هذه الشركة حتى أصبحت مدنا كاملة، وحصن أصحاب الشركة مراكز هم في كلكتا ومدراس وبومبائي، وانتهزوا الفرصة للتدخل في النزاعات التي حدثت بين الأمراء المحليين وتداخلوا فيها، وجاؤا بجنودهم لخوض المعارك، واستطاعوا أن يرسخوا أقدامهم في عام 1756م، فتنبه حاكم البنغال الأمير سراج الدولة لهذا الخطر الكبير، "قام الأمير سراج الدولة في البنغال بالهجوم على حصونهم ليقضي عليهم ويريح البلاد من شرورهم عام 1757م، وكان من الممكن أن يحقق للبلاد ما تصبوا إليه ويرمي بهم في البحر لولا خيانة بعض قواده، وخطط الإنجليز الملوثة دائما بالغدر، فكانت نهايته الفشل والقبض عليه وقتله. وأتاحت هذه النهاية المؤلمة للنفوذ الإنجليزي أن يزداد في البنغال ويتخذوا منها قاعدة للسيطرة على البلاد كلها"[20]

وتصدى في الجنوب حيدر علي للإنجليز وحاربهم، وبعد موته خلفه إبنه السلطان تيبو الذي واصل الحرب ضد الإنجليز، فوقعت المعركة بين السلطان تيبو والإنجليز وحلفاءهم المرهتها ونظام حيدر آباد، وحاصر الإنجليز السلطان تيبو في العاصمة، ولكن حاربهم تيبو بشجاعة، غير أن

أحد قواده وهو مير صادق خانه، وفتح باب القلعة للإنجليز، وخر تيبو شهيدا في أرض المعركة وتولى الإنجليز جميع أجزاء الهند وألغى دلهوزي ألقاب الملوك والأمراء المغول. كان بهادر شاه ظفر آخر السلاطين المغوليين. عندما تولى بهادر شاه العرش كان الإنجليز قد سيطروا على معظم الولايات، ويقال إن حكومة بهادر شاه لم تكن إلا في القلعة الحمراء، واستولى الإنجليز على الحكومة المغولية حتى زال نفوذ الملوك المغوليين من الحكومة وسيطرت الامبراطورية البريطانية البلاد، وجعل مواطنو الهند يواجهون السلب والنهب والظلم والعدوان والبؤس والفقر والأمية والجهالة على أيدي الأعداء الإنجليز الغاشمين.

ثورة الهند لعام 1857م

لما ضعفت الدولة المغولية بدأت الدول الغربية تتنافس في توطيد نفاذها في الهند بواسطة شركاتها التجارية، ولكن دولة بريطانيا تغلبت على الدول الأخرى كلها وهزمتها وقضت على نفوذ غيرها حتى احتلت بالهند كاملة في عام 1857م، وأضاع المسلمون دولتهم في الهند وفقدوا السلطة التي مارسوها قرابة ألف عام وانتقل حكم البلاد إلى الإنجليز بواسطة شركة الهند الشرقية لبريطانيا، وكانت الدولة البريطانية المستعمرة تدبر خططا واسعة المدى للسيطرة على أفكار الهنود وبخاصة أفكار المسلمين وثقافتهم كي تضعف فيهم همة المقاومة وتضمحل الروح الدينية الإسلامية، فلجأت لذلك إلى جميع الوسائل المتوفرة لديها لهذا الغرض الاستعماري، وبدأت الثقافة واللغة الإنجليزية تبسط سلطاتها والفكرة المسيحية تبسط يدها وتتغلب على الأديان والمذاهب كلها في الهند.

فقد قام بعض المسلمين الغيارى الذين أقلقهم هذا الوضع وشمروا عن ساق الجد للكفاح والمقاومة ضد الإنجليز، وكان على رأسهم السلطان "تيبو"، فخاض السلطان "تيبو" عدة معارك مع الإنجليز، وكاد أن يتغلب عليهم وينقذ البلاد من مخالب المستعمرين لولا خيانة بعض القواد من الجنوب، واستشهد هذا الباسل الذي كافح المستعمرين في عام 1799م.

ثم أدرك العلماء المسلمون مسئوليتهم نحو دينهم والأمة، فهبوا يعملون لإعادة ما فقدوه من مجد وعز وشرف وكرامة وعظمة، وبدأوا

الجهاد ضد الإنجليز، وقاموا في مدة قليلة بعدة حركات لإعادة السلطة الإسلامية إلى البلاد ولإنقاذ الوطن من براثن الاستعمار. فقام لأول مرة الشيخ السيد أحمد بن عرفان الشهيد والشيخ اسماعيل الشهيد بحركة التحرير والجهاد ضد الإنجليز بعد الحركة التجديدية الفكرية للإمام الشاه ولي الله الدهلوي. ولكن هذين الزعيمين قد استشهدا في هذا السبيل في عام 1831م وفشلت هذه الحركة التحريرية. "وثورة أخرى في هذه الفترة كانت الثورة الوهابية، وهم أتباع فرقة إسلامية قادها السيد أحمد البريلوي، والوهابيون كان عددهم هائلا من الفلاحين ومن ولاية بنغال وبيهار، وإنهم قاموا بتحريض الناس على الجهاد وطرد الحكومة الاستعمارية، واستمرت نشاطات الوهابيين من فترة عام 1830م إلى ما بعد ثورة 1857م"[21]، ثم ثارت ثورة عظيمة ضد الإنجليز في عام 1857م، وساهم فيها علماء الدين بكل ما كان لديهم من قوة مادية وروحية وفي حماس بالغ ونشاط ملموس، وأيدهم إخوانهم الهنادك في هذه الثورة، فأخذا الشعب الهندي يحاول ويبذل الجهود لإنقاذ الوطن من براثن الإنجليز البريطاني. يقول السيد أبو الحسن علي الندوي: "وثارت الجنود الإنجليزية في سنة 1857م بعد ما جرب الهنديون الحكم الإنجليزي وغطرسة الإنجليز وانتهابهم لثروة البلاد، وقلة احتفالهم بالعاطفة الدينية، وكرامة أهل البلاد، وانتشرت الثورة في الهند انتشار النار في الهشيم، فكانت ثورة شعبية عامة ساهم فيها المسلمون والهنادك

سواء بسواء"[22]

وكانت هناك أسباب عديدة أدت إلى هذه الثورة التي قام بها رجال الجيش الهنود وقاموا ضد الاستعمار البريطاني.

ومنها أنه قد أصدر الحاكم البريطاني الحكم لاستخدام الخرطوشات تملأ بالنزع مستمدا من الأسنان، وكانت هذه الخرطوشات تشرب بشحم البقرة والخنزير للدسم للملس، فهذا أغضب رجال الجيش الهنود واعتقدوا أن الإنجليز قد هجموا على ديانتي الهندوس والمسلمين.

والسبب الآخر هو المرسوم الذي قد أصدره الاستعمار البريطاني في عام 1824م أمر فيه الكتيبة رقم 47 في بارك بور بالسير نحو بورما، فغضب الهندوس علما بأن نظام الطبقات في الديانة الهندوكية ينص على خروج الشخص من الانتماء إلى الطبقة التي كان فيها بعد عبور البحار، فأعرض الجنود الهنود عن الإذعان لهذا الأمر، فتم تسريح هذه الكتيبة وإعدام جميع من تورط في البغي.

ومنها تلك الدعايات التي كانت تمارسها الإمبراطورية بشأن نشر الديانة المسيحية، وهذا السبب قد لعب دوراً هاماً في إثارة هذه الثورة بين الجنود، حيث أن الهيئات التبشيرية كانت تقوم بأعمالها في بعض الكتيبات بكل حرية وحماسة.

وكانت هذه الثورة الشعبية طبيعية أيضاً نظرا إلى النظام البريطاني الذي قد أثر تأثيرا سلبيا على مصالح جميع طبقات المجتمع الهندي،

فالضرائب الهائلة التي فرضتها الامبراطورية البريطانية على الفلاحين قد أثرت على شؤنهم المالية تأثيرا سيئا، والإنجليز لم يكن يرغب إلا في الحصول على دخل كثيف جدا من البلاد بغض النظر عن تفاقم أوضاع هؤلاء الفلاحين وإصابتهم بالفقر. يقول العلامة عبد الحي الحسني: "والإنكليز من الجهة الأخرى أعانتهم الفرص على نشر سلطانهم، ورأوا إنقياد أهل الهند، فازدادوا عتوا واستبدادا واستخفوا بذلك الشعب، وأزلوه، وكان رجال الشركة المشار إليها من أكبر رؤوسها إلى أصغر خدمتها، ينظرون إلى الهند نظرهم إلى فريسة وقعت بين أيديهم، لا يهم أحدهم منها إلا أن يختطف ما يبلغ إليه إمكانه من خيراتها بأية وسيلة كانت ويعود إلى بلده، فكانوا يرتكبون في سبيل ذلك منكرات، وأهل الهند كانوا يرغبون ويكظمون"[23]

فكانت هذه الأحوال التي ثارت فيها ثورة جامحة في صباح اليوم 10 مايو عام 1857م ضد الاستعمار الإنجليزي، واشتعلت نار الثورة في مدينة ميروت وانتشرت في جميع أنحاء الهند ووصلت هذه النيران إلى ضفة نهر جمنا ومنها إلى القلعة الحمراء، فهاج أهل الهند في اندور، وأعظم كره، وجبل بور، وإله آباد فضلا عن دهلي وميروت، وأصبح بهادر شاه ظفر الثاني الذي كان سجين شركة الهند الشرقية قائدا لهم رغم أنه لم يكن على يقين تام أن هذه الثورة تكلل بالنجاح، ولكن الاحتلال على مدينة دهلي وعرض الامبراطور المغولي بهادر شاه ظفر قائدا للجيش

والثورة الشعبية قد شجع الجيش الثائر على الاستعمار البريطاني وحرضهم على التمرد والعصيان، وساعدهم بخت خان بجيش يزيد من 14 ألف رجل، وكان بخت خان يعرف استراتيجيات الحرب ويتقن فنونها. وقد برزت هذه الثورة كعلامة لتمرد الجنود الهندية والشعب الهندي في معظم أرجاء شمال الهند بالإضافة إلى وسط غرب البلاد، وقد أصبح تحديا كبيرا للكيان البريطاني في الهند، لأن هذه الثورة لم تكن من فرقة واحدة أو منطقة معينة، بل إنها كانت ثورة شعبية شارك فيها رجال الجيش من المناطق المتعددة وشارك فيها الأمراء والنواب والفلاحون والتجار ورجال الدين، وكان هدف كل واحد منهم أن يطردوا الاستعمار البريطاني من وطنهم العزيز. وفي غضون شهر واحد من السيطرة على مدينة دهلي انتشرت هذه الثورة في المناطق المتعددة في البلاد ومنها كانبور، ولكناؤ، وبنارس وإله آباد، وآسام، وأريسه، واترا براديش، ومدهيا براديش، والسند، ومهاراشترا، وحيدر آباد، وبنجاب وبنغال.

ففي مدينة كانبور قام نانا صاحب الإبن المتبنى للقائد باجي راؤ الثاني بالثور، كما أن بيغم حضرت محل سيطرت على منطقة لكناؤ حيث أن إبنها برجيس قدر قد إدعى بأنه النواب، ونظم الحكم الإداري بتقسيم المناصب الحكومية الهامة بالتساوى بين المسلمين والهندوس. وفي مدينة بريلي قد تأهب خان بهادر خان جيشا يزيد على 40 ألف جندي، وقاوم البريطانيين بكل حماس. وفي ولاية بهار قاد كنور سينغ مالك أراضي

جغديشبور حركة التحرير.

وقادت لكشمي بائي هذه الثورة في مدينة جانسي وكافحت وحاربت البريطانيين حتى لقيت حتفها ودرجت إسمها بحروف ذهبية في سجل التاريخ.

ولكن القدر شاء غير ماشاؤا، فأخفقت الثورة وفشلت حركة التحرير، وتم الاستيلاء الإنجليزي على الهند ودخلت في الحكم المباشر للتاج البريطاني. ويلقى الاستاذ همايون كبير الأضواء على أسباب فشل الثورة. فيقول: "ومن العجب أن ملوك الهند وأهاليها لم يتحدوا أيضاً عندما تغلب الإنجليز على بلادهم، فانهزموا مرة بعد أخرى، ولم يمتنعوا أيضاً عن مساعدة الإنجليز على إخوانهم، ولا يكذب من يقول إن الإنكليز تملكوا البلاد بالجيوش الهندية، أما المخالفة فكانت محدودة في أمكنة محدودة، وفاز الإنكليز في القضاء عليها واحدة بعد أخرى، ولم تخضع دلهي بهذه السرعة إلا بإعانة بنجاب، ونشبت الثورة بشدة في أودة وروهيلكند، لكن البريطانيين نالوا معونة من الأهالي وقد بينت أن الجنود في بومبائي ومدراس ماداموا مساعدين للإنكليز في الثورة، ومما يدل على قلة فطانتهم أن المواطنين قاموا بمنازلة العدو، ولكنهم لم تكن لهم جبهة متحدة، وكانت الأغراض الاستئثارية موجودة أيضاً في الوحدات المتمردة، وكل ذلك أدت إلى ضعف الحركة"[24]

فاستطاع الانجليز بمؤامراتهم وخططهم الماكرة أن يخفقوا هذه

الثورة العامة ويسلطوا نفوذهم على كل البلاد تقريبا مرة أخرى، وهكذا فشلت هذه الثورة ولها أسباب داخلية عديدة، ومنها قلة الأسلحة، فالهنود لم يمتلكوا الأسلحة مثلما كان الجيش البريطاني يمتلك من أحدث أنواع الأسلحة النارية، وكذلك إنهم لم يتلقوا تائيد الشعب من كل مناطق ومن جميع الولايات الهندية في وقت محدد، وكذلك لم تقف الدولة بأكملها وراءهم حيث أن التجار والعباقرة وبعض الحكام الهنود لم يقوموا بتأييد هؤلاء الثوار بل قاموا بالمحاربة ضدهم، كما لم يستطع معظم الثوار بإدراك أهداف ومقاصد هذه الثورة، ولعدم وجود استراتيجية سياسية أو صورة واضحة إنهم لم يتمكنوا من مواصلة هذه الثورة. وسقطت مدينة دهلي في سبتمبر عام 1857م، وألقي القبض على زعيم الثورة بهادر شاه ظفر ونفي إلى رنغون حيث مات في عزلة وفقر. وهكذا استطاعت الإمبراطورية البريطانية أن تحطم حركة الثورة.

"وكانت نتيجتها أن الهند بعد أن كانت تحت سيطرة الشركة التجارية دخلت في سلطة إنكلترا فأعلنت الدولة أن الهند ملك لها تتصرف بها كما تشاء"[25]

وبعد سقوط دلهي استطاع الجيش البريطاني من السيطرة على كل مركز، وقتلت راني لكشمي بائي في يونيو 1857م، ولجأت بيغم حضرت محل إلى النيبال، ومات كنور سنغ في أبريل عام 1858م، وهرب نانا صاحب إلى النيبال.

الأوضاع العامة بعد فشل ثورة 1857م

"وبعد فشل ثورة 1857م قال لورد برتس: أخبر هؤلاء المسلمين الأشقياء أن البريطانيين هم الذين يحكمون الهند بأمر الله"[26]

وصب الإنجليز جام غضبهم على المسلمين خاصة لأنهم كانوا يعتقدون أن المسلمين هم الذين قادوا هذه الثورة، وهم أعداء الإنجليز في الحقيقة.

"ولما كانت الثورة في صفوف الجيش ويتزعمها الضباط المسلمون لذا فقد اضطهد المسلمون عقب فشل الثورة، وصودرت أملاكهم، وهدمت مساجدهم أو أصبحت ثكنات للجيوش، وشرد المواطنون، ورحب الهندوس بالاستعمار، فتسلموا الوظائف، وقتلوا المسلمين، وادعوا أنه قد آن لهم الأوان للأخذ بالثأر والانتقام، وحصلوا على الثروة، واشتروا الأرض حتى لم يبق للمسلمين سوى 5% من الأراضي التي كانوا يملكونها من قبل، وظهرت خطة التفرقة بين المسلمين والهندوس، وقد صرح اللورد "النبرو" بذلك حيث قال: "ليس في وسعي أن أغمض عيني بأن هذا العنصر الإسلامي عدو أصيل العداوة لنا وأن سياستنا الحقة أن نتجه إلى تقريب الهنود"[27]

وهكذا قد تدهورت أوضاع المسلمين وحكمهم بعد الثورة ضد الإنجليز بالهند عام 1857م، وقد انتهى بها التاريخ المشرق في الهند التي كانت لها حضارة راقية لا تقل من الحكم العباسي في بغداد أو الأموي في الأندلس، وبدأ تاريخ جديد لمسلمي الهند كان يختلف كليا من التاريخ المشرق السابق، وبدأ الحكام الإنجليز تضيق حياة المسلمين بشتى الوسائل، فقد أصبحوا يستهدفون التقاليد القومية الهندية بوجه عام والتراث الثقافي والديني الإسلامي بوجه خاص، وذلك كان تمهيدا لغرس الثقافة المسيحية ونشرها وترويجها بين سكان هذه البلاد.

يصور السيد أبو الحسن علي الندوي أحوال المسلمين بعد فشل الثورة فيقول: "وعلى إثر إخفاقها تعرض المسلمون من الأخبوط لرد فعل من الإنجليز الفاتحين الموتورين الذين كانوا يعتبرون المسلمين أصحاب الفكرة والقيادة في هذا النضال، والمواطنين تابعين لهم، فكان حنقهم شديدا على علماء المسلمين وأهل الحظر منهم، ومن لـه شأن في المجتمع الهندي يعلقونهم على المشانق، ويقتلونهم بتعذيب وإهانة، ويبحثون عن كل من كانت لـه كلمة مسموعة أو نفوذ في المجتمع الهندي"[28] ويقول: "وقامت سوق القتل والنهب في دهلي على قدم وساق، والدماء تسفك والرقاب تضرب والرصاص يطلق من غير تمييز، والبيوت تنهب، وقد خرج كل من استطاع أن ينجو بنفسه وأهله وعرضه، حتى أصبحت المدينة التي كانت عروس البلاد وعاصمة الهند مقفرة موحشة، ليس فيها إلا البيوت

الخاوية، والأنقاض المتراكمة، والجثث المتعفنة أو الجنود المفترسة"[29] وقتل سبعة وعشرون ألفا من المسلمين شنقا وإغارة.

الأوضاع الاقتصادية

بعد فشل الثورة قد تصاعدت عداوة الإنجليز السافرة على الإسلام والمسلمين والتفتوا إلى إضعاف المسلمين من الناحية الاقتصادية، فاستولى الإنجليز على جميع المناصب العليا والسفلي معا، وأدخلوا الرعب والخوف في قلوب الجميع وأغلقوا جميع أبواب الوظائف الحكومية ومناصبها للمسلمين وأصدروا الحكم، وأقفروا المسلمين وضاعفوا ديونهم وساعدوا المرابين من الهندوس على انتزاع أملاكهم "وقد كانت هذه هي السياسة المتبوعة في الحكومة الإنجليزية القائمة، وهي القاعدة التي يسير عليها مؤظفوها الكبار ورؤساء المصالح. إقصاء المسلمين عن المراكز الكبيرة في الحكم والإدارة، وسد أبواب الرزق الشريف عليهم، ومصادرة الأوقاف والأملاك التي تدر على مدارسهم ومؤسساتهم، وتأسيس مدارس ونظام تعليمي لا ينشط المسلمين للإفادة منه، وقد كان في بعض بلاغات رسمية أن الوظائف الفلانية لا يقبل فيها إلا الهنادك، يقول هنتر: إن المسلمين وإن كانوا يملكون المؤهلات والكفاءة المطلوبة لوظيفة ولكنهم يمنعون عن ذلك ببلاغ رسمي"[30]

فتأخر المسلمون في جميع المجالات الاقتصادية والوظائف الرسمية، وتقدم المواطنون الآخرون من الهندوس وغيرهم، فاقتربوا من الإنجليز

وأخذوا ما قدموا إليهم من المعونة، وكانت لديهم الأهداف المعينة وهي أنهم سيحصلون على الوظائف الصغيرة أو الكبيرة التي يوفر لهم الإنجليز، وكان الإنجليز يشجعونهم، وعملوا على زيادة التفرقة بينهم وبين المسلمين، فكانت سياستهم "فرق وتسد".

"كان الهدف من هذه السياسة تقليم أظافر المسلمين — أصحاب الحكم الإسلامي السابق — والقضاء على معنوياتهم، وقتل كل أمل يراود نفوسهم في استرداد أيامهم الماضية، وسلكوا في تنفيذ مآربهم هذه كل الطرق المؤدية إليها"[31]

ويصور الشيخ محمد إكرام أوضاع المسلمين الاقتصادية بذكر بعض الاقتباسات من كتاب OUR INDIAN MUSALMAN للدكتور سر وليم هنتر، فإنه يقول: "إننا إذا تسلطنا البلاد كان المسلمون في أحسن حال من بين سائر الأقوام، ولم يكونوا أشجع الناس وأقواهم جسما محضا بل انهم كانوا أكثر أهلية في مجال السياسة والانتظام، ولكن هؤلاء المسلمين هم الذين محرومون من الوظائف الحكومية وغير الحكومية كليا"[32]

ونقل الشيخ محمد إكرام قول سر سيد أحمد خان "لن اتوقع الآن أن القوم سينهض ويحصل على الكرامة مرة أخرى ولم يكن في وسعي أن اتحمل مشاهدة حالة القوم"[33]

وكتب سر سيد أحمد خان "أخذت الصنعة وحرفة البلاد تنقضي من أجل المصنوعات الخارجية المتوفرة في الأسواق حتى كان لا يكترث أحد

بالصواغين وصانعي الكبريت في البلاد حتى إنكسر خيط الحائكين قطعة"[34]

فأصبح المسلمون يواجهون أسوأ الأحوال، وتعرضوا للضعف الاقتصادي وفقدوا جميع ما كانوا يمتلكون من السلطة والاقتدار والمناصب والمزارع والأملاك، وفي النتيجة انهم تأخروا في جميع مجالات الحياة من المواطنين الآخرين.

الأحوال الدينية

كانت الفترة التي أعقبت هزيمة الثورة الهندية ضد الانجليز عام 1857م فترة يأس وحرمان، وبدأ معظم المسلمين يشعرون بالهزيمة والدناء والحرمان في أنفسهم، أما الإنجليز فقد ارتفعت عزيمتهم وهممهم من أجل الانتصار، وكانوا يقولون مجاهرين إن بلاد الهند عطية من عطايا المسيح الذي أعطاهم إياها كي يروجوا بها تعاليمه، ولم يكن احتلال الإنجليز بالهند احتلالا سياسيا فحسب بل كان احتلالهم ثقافيا وحضاريا أيضا، فإنهم كانوا يستهدفون التقاليد القومية الهندية عامة والتراث الثقافي والديني الإسلامي خاصة، وإنهم ركزوا جل عنايتهم على نشر الدين المسيحي، وتوسيع الثقافة المسيحية، وإغلاق مراكز المسلمين الدينية والثقافية المنتشرة في جميع أنحاء البلاد، وانهم لم يتوقفوا عن إغلاق المدارس والمعاهد الإسلامية فحسب بل انهم تغلبوا على الأوقاف والمؤسسات الإسلامية التي كانت تعاونهم إعانة مالية. وأنشئت المراكز الجديدة والمعاهد العديدة لنشر الثقافة

الغربية والدعوة المسيحية في الشعب الهندي، وجاء جم غفير من الدعاة المسيحيين وانتشروا في جميع أنحاء البلاد داعين إلى الدين المسيحي، وقد جاء هؤلاء الدعاة على دعوة الحكومة الإنجليزية وكان هدفهم الرئيسي الإسلام وخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم والعقيدة الإسلامية ونشر التعاليم المسيحية ودعوتها بين الشعب الهندي عامة وبين المسلمين خاصة. فإنهم استهدفوا الإسلام والتعاليم الدينية، وبذلوا قصارى جهودهم في تشويه العقيدة الإسلامية، واختاروا لهذا الغرض القبيح من الضعفاء والفقراء المسلمين وأنفقوا أموالا طائلة ليرتدوا من دينهم ويقبلوا الدين المسيحي، وأعانت الحكومة الإنجليزية الدعاة المسيحيين ووفرت لهم التسهيلات والمساعدات في سبيل نشر الدعوة المسيحية بين الشعب الهندي "حتى آل بهم الحال أن جعلوا من الشوارع والأماكن العامة والأسواق في القارة الهندية منابر لنشر الكفر البواح، يتحدون المعتقدات الإسلامية ويهاجمون العلماء ويصفونهم بالخور والجبن وضعف الحجة، وإنهم ليسوا بقادرين على إثبات صحة هذا الدين وعلى رأسه هذا القرآن ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم ليصلوا إلى هدفهم من إثبات ألوهية عيسى عليه السلام وأحقية دين المسيح المخلص للعالم بزعمهم، وشنوا حملة لا هوادة فيها على طبقات الشعب المسلم يوردون عليه شبهات وأوهاما وتفسيرات حسب أهوائهم يقتطعونها من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يلبسونها ثوب الحق ويدعون أحقيتها زورا وبهتانا، وعاش المسلمون فترة قاسية ومحنة

أطاشت عقولهم وشلت نشاطهم"[35]

الهوامش

[1] الدكتور محمد عبد القادر خليل: المناظرة الكبرى، دار تيمية للنشر والتوزيع والأعلام والرياض، ط1، ص17-18

[2] عبد الحسي الحسني: الهند في العهد الإسلامي، دار عرفات رائي بريلي، 2001م، ص72

[3] الجناح الآسيوي: تاريخ العالم الاسلامي- الحديث والمعاصر، دار المريخ، للنشر الرياض، 1984م، ج1، الجزء الأول، ص261

[4] الدكتور محمد عبد القادر خليل: المناظرة الكبرى، ص18

[5] أبو الحسن علي الندوي: المسلمون في الهند، المجمع الإسلامي ندوة العلماء لكناؤ، الهند 1998م، ط4، ص14

[6] الدكتور تارا شند: الثقافة الهندية ووصول المسلمين إلى الهند، نقلا عن ثقافة الهند، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية آزاد بهون، نيو دلهي، ج1، العدد الأول، مارس 1950 م، ص19-20

[7] سليمان الندوي: العلاقات التجارية بين العرب والهند، نقلا عن ثقالة الهند، المجلد الأول، العدد الثاني، يونيو 1950، ص102

[8] الدكتور تارا شند: ثقافة الهند، مارس 1950، ص22

[9] السير توماس ارنولد: الدعوة إلى الإسلام، نقلا عن المناظرة الكبرى، ص19

[10] أبو الحسن البلاذري: فتوح البلدان، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1983م، ص420

[11] الدكتور تاراشند: ثقافة الهند، مارس 1950م، ص22

[12] د/أشفاق أحمد: دور الهند في النشر العربي عبر القرون، نقلا عن ثقافة الهند، العدد 1-2، 2003م، ص56

[13] عبد المنعم: كفاح المسلمين في تحرير الهند، مكتبة وهبة شارع الجمهورية بعابدين، الطبعة الأولى، 1964، ص19

[14] Satish Chandra: Medieval India, NCERT,, P.47

[15] الجناح الآسيوي: تاريخ العالم الإسلامي، ج1، ص264

[16] عبد المنعم النمر: كفاح المسلمين في تحرير الهند، ص20

[17] عبد الحي الحسني: الهند في العهد الإسلامي، ص187

[18] نفس المصدر، ص188

[19] عبد المنعم النمر: كفاح المسلمين في تحرير الهند، ص20-21

[20] نفس المصدر، ص22

[21] Indira Arjun Dev: Modern India, NCERT, p.84

[22] ابو الحسن علي الندوي: المسلمون في الهند، ص147

[23] عبد الحي الحسني: الهند في العهد الإسلامي، ص250

[24] همايون كبير: ثورة الهند لعام 1857م، نقلا عن مجلة ثقافة الهند: المجلد التاسع، العدد الرابع، ديسمبر 1958م، ص14-15

[25] عبد الحي الحسني: الهند في العهد الإسلامي، ص254

[26] سيد محمد ميان: علماء هند كا شاندار ماضي، المجلد الأخير، نقلا عن سوانح علماء ديوبند، ج2، ص22

[27] الجناح الآسيوي: تاريخ العالم الإسلامي، ج1، ص266

[28] ابو الحسن علي الندوي: مقدمة إظهار الحق لرحمت الله الكيرانوي، الشؤون الدينية بدولة قطر، الجزء الأول، ص 11م-12م

[29] أبو الحسن علي الندوي: المسلمون في الهند، ص151

[30] نفس المصدر، ص156-157

[31] عبد المنعم النمر: كفاح المسلمين في تحرير الهند، ص27

[32] محمد اكرام: موج كوثر، فريد بكدبو نيو دلهي، ص76

[33] نفس المصدر، ص76-77

[34] سر سيد أحمد خان: اسباب بغاوت هند، نقلا عن حجة الإسلام محمد قاسم نانوتوي، حيات افكار خدمات، تنظيم ابنائي قديم دار العلوم ديوبند، نيو دلهي، 2005م، ص109

[35] رحمت الله الكيرانوي: إظهار الحق، منشورات المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ج1، ص2

البـــــاب الثاني

مولانا محمد قاسم النانوتوي

1833م-1880م

ترجمة موجزة لحياته

لقد أنجبت الهند عدداً كبيراً لا بأس به من العلماء الأفذاذ والدعاة المخلصين الذين قاموا بمساعيهم المشكورة وجهودهم الجبارة بالإضافة إلى ثروة العلوم الإسلامية والدينية، والذين لم يقوموا بالجهاد في سبيل الله بالسيف فحسب بل أنهم جاهدوا في سبيل الله بالسيف وبالقلم كليهما في نفس الوقت. ولنا نماذج كثيرة والمثل العليا في مثل هؤلاء الجهابذة والأفذاذ الكرام في القرن التاسع عشر الذين قاموا بالجهاد بالسيف ضد الإنجليز في ثورة 1857م، وبذلوا جهودا عظيمة والمساعي المشكورة في ميدان الجهاد لتحرير البلاد من الإنجليز الغاشمين وطردهم من بلادهم الأم. وبعد إخفاق الثورة العظيمة وفشلها إنهم قاموا بالجهاد بالقلم، وشمروا عن ساق الجد ضد الحركات التبشيرية والدعاة المسيحيين والقسيسين والأعداء الهنود الذين ساعدهم الإنجليز وحرضهم ضد الإسلام والمسلمين، وكذلك القاديانيين وغيرهم من الفرق الضالة، فمن هؤلاء العلماء المجاهدين الشيخ رحمة الله الكيرانوي والحاج إمداد الله والحافظ ضامن الشهيد ومولانا محمد ومولانا رشيد أحمد الكنكوهي ومولانا محمد منير النانوتوي والشيخ الإمام حجة الإسلام في الهند، العالم الكبير محمد قاسم بن أسد علي الصديقي النانوتوي.

كانت شخصية الإمام قاسم النانوتوي متنوعة النواحي حيث لا يوجد لها نظير في الهند الحديثة. فإنه كان قائدا في ميدان المعركة وأبلي في

معركة تحرير البلاد من الإنجليز المستعمرين بلاءا احسنا، و"قاد حركة التحرير والثورة على الاستعمار البريطاني في غرة 1857م، فكان قائد قوات المسلمين في ساحة تهانه بهون وشاملي، وقد أبلي فيها بلاء احسنا مسجلة التاريخ بحروف ذهبية."[1] وبعد إخفاق الثورة إنه قام بقيادة العلماء على منصة المناظرة ضد الأساقفة والمبشرين والباندت ديانند سرسوتي مؤسس حركة آريه سماج وجاء بدلائل قاطعة هدمت أباطيل الكاذبين وأجبرهم إلى اللجوء إلى الفرار. وفي جانب آخر "قام هو وأصدقاؤه بتأسيس مدرسة إسلامية عربية في ديوبند، حتى أصبحت أم المدارس وكبرى الجامعات الإسلامية العربية الأهلية في شبه القارة الهندية، وأنجبت كثيراً من العلماء ورجال الفكر الإسلامي والدعاة المخلصين والكتاب المتحمسين والخطباء المصاقع."[2] فكانت حياة الشيخ عبارة عن مواقف شجاعة وجرأة واستقامة وبطولات خالدة في ميدان المعركة والجهاد في سبيل الله بالسيف وبالقلم معا.

ولادته ونسبه

ولد محمد قاسم النانوتوي عام 1248هـ/1833م بقرية نانوته بمديرية سهارنفور بولاية اترا براديش، وتاريخ ولادته غير معروف على الأصح، فيقول مؤلف سوانح قاسمي وصديق صباه مولانا يعقوب النانوتوي: "لم اتذكر تاريخ ولادته إلا باسمه التاريخي، وكان في ذاكرتى أنه هو ربيع الثاني أو جمادى الثاني، حتى أن أولئك الذين كنت اعتقد أنهم يعرفون

الشهر وتاريخه ليست عندهم أيضاً معرفة تامة، فقال بعض منهم 15 من شهر شعبان المعظم، وقال البعض 15 من شهر رمضان المبارك، وقال رجل منهم إن تاريخ ولادته 27 من شهر محرم الحرام، ولكن هذا أيضاً ليس بصحيح".[3] وطبقا لقوله الآخر إنه ولد في شهر شعبان أو رمضان عام 1248هـ/ مارس 1833م وإسمه التاريخي خورشيد حسين.

ينتهي نسب قاسم النانوتوي إلى قاسم بن محمد بن سيدنا أبى بكر الصديق رضي الله عنه، فهو محمد قاسم بن أسد علي بن غلام شاه بن محمد بخش بن علاء الدين بن محمد فتح بن محمد المفتي بن عبد السميع بن المولوي محمد هاشم.

وجده الأعلى المولوي محمد هاشم جاء إلى الهند من بلخ في عهد المغولي شاهجهان واستوطن قصبة نانوته وتقرب إلى العائلة الملكية، فأقطع لـه الملك فيها عدة قرى كما كان العلماء والمشائخ والصوفياء يستفيدون بمنح الملوك وعطاياهم لكي ينفردوا لخدمة العلوم والفنون والدعوة إلى الإسلام بدون فكر المعاش.

وكان والده الشيخ أسد علي رجلا كريما صالحا وتقيا حسن الخلق مضيافا، وإنه لو لم يكن عالما إلا أنه قرأ بعض الكتب الرائجة في المدارس مثل شاهنامه، ولعله سافر مع الشيخ مملوك علي إلى دهلي لغرض التعليم إلا أنه لم يكن يميل إلى الدراسة فلم يواصلها واحترف الفلاحة وأعمال الزراعة في قريته نانوته، وكان رجلا بسيطا قليل الثقافة، ولكنه كان يجالس العلماء والصالحين ويكرمهم ويحترمهم، فيقول مولانا يعقوب النانوتوي:

"ووالده الشيخ أسد علي وإن صحب والدي رحمه الله إلى دهلي وقرأ الكتب أمثال شاهنامه، وقص علينا أيام دراسته قصصا، إلا أنه لم يكن يميل إلى الدراسة ميلا ولم يواصل دراسته، فقضى حياته في الزراعة يمثل أهل القصبات والقرى الكبيرة في أخلاقهم وعاداتهم، وفي جانب آخر اتصف بالمروءة ودماثة الخلق، يعول الأسر الفقيرة، ويقري الضيف ويقيم الصلوات ويتقي الله حق تقاته".[4] وكانت والدته بنت المحامي الشهير الشيخ وجيه الدين ينتهي نسبه إلى نفس الأسرة، والمولوي محمد هاشم جده الأعلى في النسب.

لم يكن لقاسم النانوتوي أخ، بل لـه أخت في قرية ديوبند، فكان الشيخ وحيدا وفريدا لأبويه وقريبا إلى حنان والديه وشفقتهما.

تعليمه ودراسته

"قد رأي قاسم النانوتوي فيما يراه النائم وهو صبي أن الله عز وجل قد احتضنه، فأخبر بذلك جده، فأوله لـه بأن الله سيرزقك علما واسعا ويجعلك عالما كبيراً بعيد الصيت. وقد صدق تأويله."[5]

إنه تلقى تعليمه الابتدائي في مسقط رأسه، ودرس بعض الكتب الابتدائية من الفارسية، وقام بختم القرآن الكريم في صباه، ثم انتقل إلى قرية ديوبند حيث كان المولوي مهتاب علي يدرس في بيته بعض الطلبة، منهم الشيخ نهال أحمد ومولانا ذوالفقار علي وغيرهما، فإنه قرأ على مهتاب علي بعض الكتب العربية من النحو والصرف، وبعض الكتب الفارسية مثل

نحو مير وبنج كنج. ثم نقل إلى جده لأم المحامي وجيه الدين في سهارنفور حيث درس هداية النحو والمختصرات من كتب النحو والصرف العربية والفارسية للمرحلة الابتدائية من الشيخ محمد نواز السهارنفوري. ثم توقفت رحلته التعليمية لفترة قصيرة لا تزيد أكثر من سنة. ثم اعتنى بتعليمه استاذ العلماء الشيخ مملوك علي النانوتوي وذهب به وإبنه مولانا يعقوب النانوتوي إلى دهلي في محرم الحرام عام 1260هـ/يناير 1844م، وأدخلهما في المدرسة العربية الرسمية، وأكمل قاسم النانوتوي دراسته تحت رعايته وقرأ عليه سائر الكتب الدراسية، وبدأ دراسته هنا بكتاب الكافية في النحو ولم تمض أيام قليلة إلا أن الاستاذ فوض إليه العناية بتعاليم إبنه مولانا يعقوب النانوتوي الذي كان صديقا لـه منذ نعومة أظفاره ويشاركه نسبا في جد والده الشيخ غلام شاه. وكان يعقوب النانوتوي يدرس آنذاك الميزان في النحو وكلستان في الفارسية، فكان الشيخ يستمع إليه ما كان يدرس من الأبواب الصرفية في الميزان وتعليلاتها ويناقشه في الأبواب الصرفية والأعاريب في كل ليلة من ليالي الجمعة.

ولو كان الشيخ النانوتوي طالبا في المدرسة العربية الرسمية ولكن الاستاذ مملوك علي كان يدرسه بعض الكتب في بيته "وقال لمدرس العلم الرياضي: لا تفكر في شأن الطالب وأنا أعلمه وأعده إعدادا كاملا".[6] وأمره الاستاذ "تمرن على الأقليدس وقواعد الحساب حتى تضبطها"[7] "ولم تمض أيام قليلة حتى ذاع أن قاسم النانوتوي قد أنهى مقالات يسيرة وانتهى من

الحساب وذلك مما بعث الناس على العجب البالغ، فتساءله الطلاب، ولم يكن الشيخ صفر اليدين فرد عليهم ردا بليغا، وقدم إليه المنشي ذكاء الله أسئلة بلغت من الصعوبة إلى حد أصدرها بعض الاساتذة فأجابها الشيخ جوابا كافيا، وهكذا كان شأنه في الحساب."[8]

مؤهلاته العلمية ومواهبه الفطرية

كان الشيخ قاسم النانوتوي ذكيا وفطينا، عالي الهمة، جليدا وشجاعا، حتى كانت إمارة مؤهلاته جلية منذ صباه وتظهر عليه علامة الذكاء والنبوغ والفطنة منذ نعومة أظفاره، حتى في الشؤون التي تتعلق بالحياة اليومية من الدراسة والالعاب والأمور التي لا يهتم بها الأولاد في ذلك العمر، فيقول مولانا يعقوب النانوتوي: "ولن أنسى تلك اللعبة التي عرفت بلعبة الدهاء لا يجيدها إلا المرس الدرب، فلم يكن حظهم منها إلا الخيبة وتقليب الأكف، ولما عرف الشيخ أصولها وضوابطها حتى اتقنها فلم يهزمه أحد أبداً."[9]

إنه كان طالبا متفوقا في زملاءه ويتفوق في البحث والمناقشة على الطلاب الآخرين، "وكانوا يجتمعون في تلك الأيام في مسجد المولوي نواز علي بجوار بيتنا، فيتباحثون ويتذاكرون ويناقشون، ولما جاء دوره بزهم وعزهم في الخطاب وظل يغلبهم في كل ما كان يجري من محادثات ومباحثات علمية، ومن الطرائف أن أحدامنا إذا رأي نفسه ينهزم استنصره أو تقدم هو إليه يشد أزره ثم مضى في دراسته لا يلوي على شيء ولا يشق غباره أحد."[10]

ثم تجلت مواهبه الفطرية ومؤهلاته العلمية في حل الكتب الدراسية وحفظها واتقانها بدون معاونة الاستاذ، فانه قام بالدرس وحل الكتب الصعبة من العلوم العقلية مثل مير زاهد، وقاضي مبارك، وصدرا، وشمس بازغة، وقام بحفظها كما يحفظ القاري القرآن الكريم، وكان لا يحتاج إلى ترجمة عبارات تلك الكتب ويمر عليها بدون توقف، فقام بعض الطلاب بشكواه أمام الاستاذ الشيخ مملوك علي، فأجاب "لا يستطيع طالب أن يمضي وأنا استمع لـه بدون فهمه وإدراكه"[11]، "ولم يقم النانوتوي أبدا بترجمة شمس بازغة وصدرا، ولم يقم بمطالعته، وكان يقرأ كأنه يتلو."[12]

كان الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي زميلا لـه في الدرس، وقاما بالبيعة على يد الشيخ الحاج إمداد الله (1817-1899م) وأخذا طريقته وتخرجا عليه في التزكية والإحسان واستفاضا منه فيوضا كثيرة، وسلكا مسلكه في الإصلاح والإرشاد، وكانا يتبادلان الآراء ويجرى النقاش والمحادثات والبحث في الموضوعات المختلفة، ويستمر إلى ساعات حتى كان الاساتذة والطلاب يجتمعون حولهما ويستمعون لهما، وينصتون حتى "سمع استاذ بحثهما مرة فقضى فيه أن قاسما ذكي وفطين ولا يتغلب عليه أحد بفطانته إلا أن رشيد علي الحق."[13]

ولما حان موعد الامتحان السنوي لم يشترك الشيخ في الامتحان وغاب عنه وغادر الكلية، فأسف عليه اساتذة الكلية ولا سيما رئيس هيئة التدريس طيلر (J.H.Taylor). ثم قرأ الشيخ بعض الكتب الدراسية على الشيخ المفتي صدر الدين وتوجه إلى علوم الحديث وأخذ الحديث من الشاه عبد الغني المجددي (1878-1996م) وقرأ الصحيح للبخاري، والصحيح

لمسلم، والسنن للترمذي، وابن ماجة والنسائي، وتفسير الجلالين، كما درس السنن لأبي داؤد، والمؤطا لمالك على الشيخ أحمد علي السهارنفوري (1880م)، وسلسلة الأسناد تنتهي إلى الشاه ولي الله الدهلوي وهي:

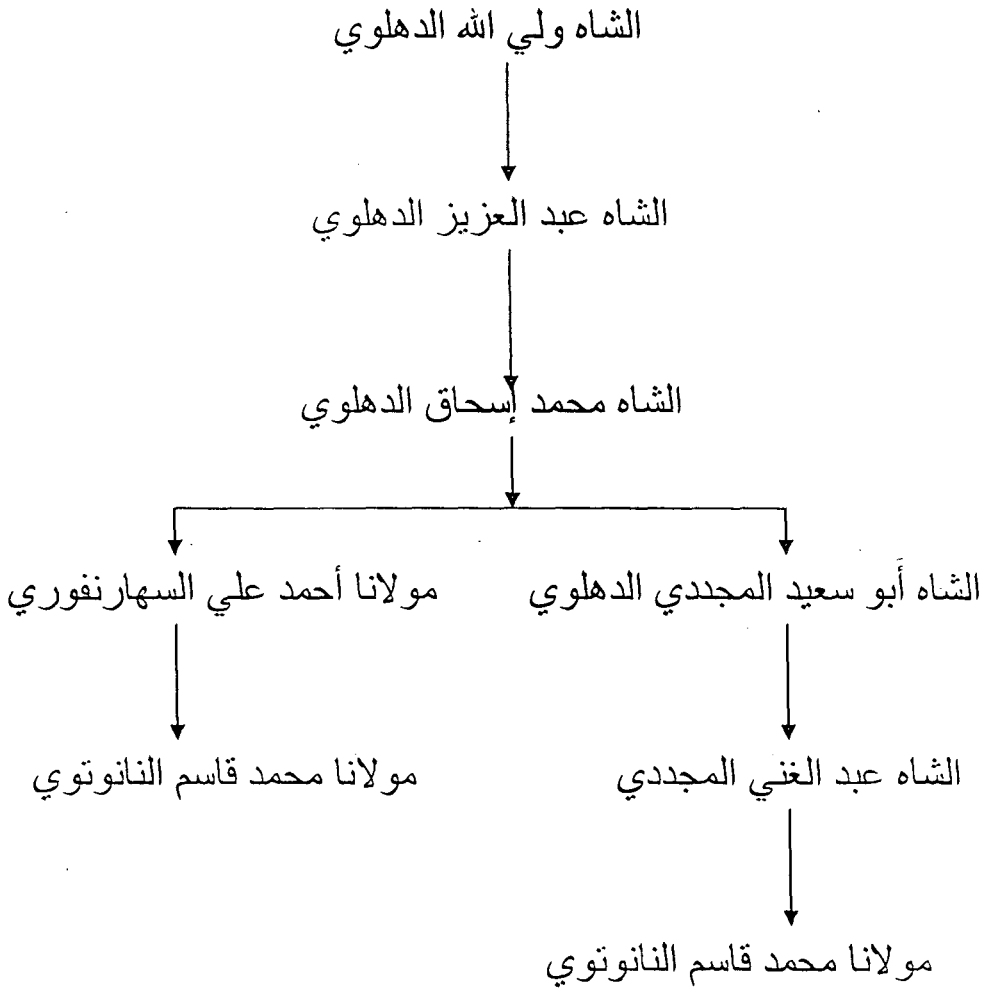

التعليق على الصحِيح للبخاري

وبعد تكميل الدراسة في عام 1849م في 17 من عمره اشتغل بتصحيح الكتب، وعمل فترة في المطبعة الأحمدية في دهلي يحقق النصوص ويعدها للطباعة، وأثناء عمله في المطبعة الأحمدية قام بتحشية الأجزاء الخمسة أو الستة الأخيرة لصحيح البخاري وتحقيق الأجزاء الباقية

بعد تحقيق الشيخ أحمد علي السهارنفوري والتعليق عليها، فقام به الشيخ النانوتوي أحسن قيام.

ثورة عام 1857م ومقاومة مولانا قاسم النانوتوي ضد الاستعمار

ولما انفجرت ثورة عام 1857م ضد الاحتلال الإنجليزي في الهند وخاصة في الهند الشمالية ووقعت معارك دامية مع الإنجليز شارك فيها المسلمون والهندوس معا وحاربوا ضد الإنجليز جنبا إلى جنب، قامت جماعة من العلماء الربانيين الذين كانوا تلامذة مدرسة الإمام الشاه ولي الله الدهلوي وأتباع السيد أحمد الذي استشهد في ساحة بالاكوت، ولم يكف أتباعه عن الحرب بعد شهادته، فانهم انتهزوا هذه الثورة الشعبية وخاضوا غمارها، ورفعوا رأية الجهاد ضد الاستعمار الإنجليزي، وشاركوا فيها مشاركة فعالية، فيقول السيد أبو الحسن علي الندوي: "وكان للحاج إمداد الله التهانوي، ومولانا محمد قاسم النانوتوي، ومولانا رشيد أحمد الكنكوهي، والحافظ ضامن الشهيد وغيرهم من العلماء والمشائخ سهم فيها وخاضوا في بعض المعارك."[14]

وأما مولانا قاسم النانوتوي فإنه قام بقيادة حركة التحرير في عام 1857م وكان قائد قوات المسلمين في تهانه بهون وشاملي وقد أبلي فيها بلاء ا حسنا، يفيد الدكتور زبير أحمد الفاروقي: "أما على الصعيد السياسي فكان الشيخ النانوتوي الرعيل الأول للعلماء المحبين للوطن الذين رفعوا رأية الجهاد ضد الاستعمار الإنكليزي وخاضوا المعركة المعروفة بمعركة

شاملي في عام 1274هـ/1857م ضد القوات الإنكليزية الغازية."[15]

قد اجتمعت جماعة من العلماء الربانيين منهم الحاج إمداد الله، وقاسم النانوتوي، والحافظ ضامن، ومولانا رشيد أحمد الكنكوهي، ومولانا منير النانوتوي، ومولانا الشيخ محمد التهانوي، وقاموا بالبحث في الأمر، فمنع مولانا محمد التهانوي من الاقدام لعدم الاستعداد وعدم وجود الأسلحة مثل ما كانت لدى الإنجليز "فسأل قاسم النانوتوي ألا نمتلك الأسلحة مثل ما كانت عند أصحاب بدر؟ قالوا: بلى، وسمع الشيخ إمداد الله الجانبين وقال: الحمد لله إنشرح الصدر، وشمروا عن ساقهم."[16]

وتم انتخاب الحاج إمداد الله إماما لهم، ومحمد قاسم قائدا عاما، ومولانا رشيد أحمد قاضيا لهم، ومولانا منير النانوتوي والحافظ ضامن قائدين على الميمنة والميسرة، وكان هؤلاء جميعا محل ثقة من العامة فاجتمع المجاهدون حولهم من كل ناحية، وأتوا بأسلحتهم، وكانت كلها من الطراز القديم، وكانوا يتدربون على الفنون الحربية من قبل فانهم بدأوا من تهانه بهون التابعة لمظفر نكر واستولوا عليها وعلى ما حولها وأقاموا فيها الحكم الإسلامي وأخرجوا منها الحكام الإنجليز، ثم تقدموا وفتحوا مدينة شاملي بعد معركة حامية بينهم وبين الإنجليز، استشهد فيها الحافظ محمد ضامن، وأصابت محمد قاسم النانوتوي رصاصة في رأسه وأدت رصاصة إلى إحراق شطر من شاربه ولحيته وإصابة عينيه بجروح طفيفة، وإنه سجل إسمه في التاريخ بحروف ذهبية.

وبعد فترة جاءت الأخبار من دهلي أن الثوار قد إنهزموا واستولى الانجليز على مدينة دهلي، فخمدت روح الحماس في المجاهدين ولم يجدوا بدا من إلقاء السلاح والتخلص من أيدي الأعداء الذين قاموا بطردهم لينتقموا منهم، وصب الإنجليز على أهل تهانه بهون جام غضبهم وانتقموا منهم انتقاما شديدا، فقاموا بتدمير قرية تهانه بهون وعاثوا فيها فسادا. وأصدروا الحكم ضد هؤلاء العلماء المجاهدين، فها جر الشيخ إمداد الله إلى مكة المكرمة، وألقي القبض على مولانا رشيد أحمد الكنكوهي، أما مولانا قاسم النانوتوي فانه قد اختفى، ولكنه بعد ثلثة أيام خرج من الاختفاء وقال: إن الاختفاء أكثر من ثلثة أيام خلاف لسنة نبينا عليه الصلوة والسلام، وأصبح يتنقل من قرية إلى قرية أخرى ومن مدينة إلى مدينة أخرى، ولم يفز الاعداء في إلقاء القبض عليه حتى صدر قانون العفو العام في نوفمبر 1858م.

رحلته إلى مكة المكرمة وزيارة بيت الله

لقد عزم الشيخ قاسم النانوتوي على زيارة بيت الله وصحبه مولانا يعقوب النانوتوي في سفره، وبدأت الرحلة في شهر ديسمبر عام 1860م وإنهما واصلا الرحلة على سفينة شراعية ووصلا إلى مكة المكرمة في ستة شهور وزارا الحرمين الشريفين وعادا إلى البلاد عن طريق مومبائي في مدة لا تزيد أكثر من عام. وبعد عودته من الحج عمل في مختلف المطابع وقام بتصحيح الكتب في مطبعة الكاتب ممتاز علي المطبعة المجتبائية في

مدينة ميروت، وثم عمل في المطبعة الهاشمية لمولانا محمد هاشم، ولما أنشأ ممتاز علي مطبعة جديدة تسمى المطبعة المصطفائية فالتمسه أن يعمل في مطبعته، فانتقل إلى دهلي وعمل في مطبعته، وخلال تلك الأيام قام بتدريس كتب الحديث في الأوقات الفارغة واستمرت هذه السلسلة، كان يحضر في درسه عدد كبير من الطلاب وأهل العلم.

نبوغ الشيخ النانوتوي في علم الحديث وأسلوبه في التدريس

كان النانوتوي يقوم بتدريس الصحاح الستة، وكانت حلقة درسه نموذجا طيبا لحلقة الشيخ عبد الغني الدهلوي والشيخ المحدث اسحاق الدهلوي، فكان يقوم بالاستخراج من الروايات نتائجها واستنباط المسائل، وببيان الخلافات بين الأحناف والشوافع والمحدثين الآخرين، وشرحها وإثبات مذهب الإمام أبى حنيفة، وكان يأتي بأدلة ثابتة من الكتاب والسنة، وحجة بعد حجة حتى يضطر الحاضرون إلى اعتراف أن مذهب أبي حنيفة حق وطبقا للروايات والأحاديث النبوية الشريفة، وأنه أشد إنسجاما من الكتاب والسنة، ولكنه كان يؤكد على أن التأدب للأئمة الآخرين لازم، ويقول إن المذاهب الأربعة يتبعها أهل السنة والجماعة كلها حق ومستنبطة من الكتاب والسنة، وكان يستخرج جوهر ما ذكره كبار المحدثين من درر ثمينة خلال دراساته الطويلة للحديث، وكان يستطيع أن يقوم بشرح أدلة الفقهاء الموجزة المجملة ببسط وتفصيل لا نظير لـه، ولكن يعجبه كثيرا من الأئمة الإمام أبو حنيفة، كأن الله قد شرح صدره لمذهب الإمام أبي حنيفة

والدفاع عنه والتصلب فيه، وكان الطلاب يتأثرون به كثيرا.

لم يكن يستطيع عامة الناس أن يأخذوا عنه أو يفهموا محاضراته كان يلقيها أمام الطلاب وأهل العلم ولا يتمكن من فهمها إلا ذو موهبة ومن لـه ذكاء مفرط ومطالعة واسعة في الموضوع الذي يريد قراءته أو سماعه في مجالس درسه، مع أنه كان يحاول أن يسهل تدريسه ويجعله أقرب منالا ويمهد لـه تمهيدا ولكنه مع ذلك اقرب إلى الصعب، يقول الشيخ مولانا محمود الحسن أحد تلاميذه: "كنت أواظب مطالعة مصنفات الشاه ولي الله الدهلوي قبل أن أحضر في حلقة درس النانوتوي وأسأله عن الأحكام التي كانت صعبة جدا في مصنفات الشيخ ولي الله الدهلوي، وقد جربت مرارا أن الجواب الأخير عند الشيخ ولي الله كان الجواب الأول عند الشيخ النانوتوي."[17]

وكان الشيخ يقوم بتدريس الكتب الأخرى أيضاً ماعدا الصحاح الستة حسبما يقتضيه الطالب، فانه قام بتدريس مثنوي لمولانا روم، وآب حيات وكذلك ملال جلال، فمولانا منصور علي خان المراد آبادي يقول: "درسني مولانا النانوتوي ملا جلال."[18]

ومن تلامذته شيخ الهند مولانا محمود الحسن، ومولانا فخر الحسن الكنكوهي، ومولانا احمد حسن الامروهوي، ومولانا عبد الرحمن الامروهوي، ومولانا حافظ العدل ، ومولانا حكيم منصور علي خان، ومولانا عبد العلي الميروتي.

تأسيس دار العلوم بديوبند

ولما فشلت ثورة عام 1857م ضد الاستعمار لقد تأثرت حياة المسلمين الثقافية والعلمية تأثرا كبيرا، وكان هذا التأثير بعيد المدى، لأن الحكومة الإنجليزية جعلت تدبر خططا واسعة المدى للسيطرة على أفكار الهنود عامة وعلى أفكار المسلمين وثقافتهم خاصة لكي تضعف فيهم الروح الدينية الإسلامية، واستخدمت جميع الوسائل المتوفرة لديها لهذا الغرض، فقامت بالقضاء على النظام الإسلامي للتعليم والتربية وتنفيذ نظام جديد لها، وصادرت الممتلكات والأوقاف الإسلامية وقامت بتخريب دور العلم ومعاهد التعليم، وحالة العلوم العربية الإسلامية وعلمائها في عصر الحكم الإنجليزي بدأت تتدهور بصفة منذرة بالسوء من جراء الخطة التعليمية التي وضعها المستعمرون للقضاء على روح الدين الإسلامي الحنيف.

"الواقع أن الغزو الإنكليزي للهند لم يكن غزوا سياسيا فقط وإنما كان غزوا ثقافيا أيضاً يستهدف التقاليد القومية الهندية بوجه عام والتراث الثقافي الديني الإسلامي بوجه خاص وذلك تمهيدا لغرس الثقافة المسيحية ونشرها وترويجها بين سكان هذه البلاد، فبعد قيام الحكم البريطاني أغلقت المعاهد التعليمية للمسلمين في دلهي ولاهور وآكره وجونبور وغيرها من المدن في

غوجرات وبيهار ومدراس وبنغال."[19]

فبلغت نشاطات الإنجليز ذروتها حتى أنهم قاموا بالهجوم على المدارس والمساجد داعين إلى ا لدين المسيحي وإثارة الشكوك والشبهات في عقائد المسلمين، وفي جانب آخر قد انتشر كثير من المؤسسات المسيحية وأنشطتها الدينية والتعليمية والثقافية، وكان ا لدعاة المسيحيون يبذلون قصارى جهودهم ويعملون ليلا ونهارا لنشر المسيحية وتعاليمها في الهند. يقول الاستاذ زبير أحمد الفاروقي: "بعد التأكد من أن نظام التعليم للمسلمين في الهند قد تعطل تماما، اتجهت الحكومة البريطانية عنايتها نحو تقويض حياتهم الثقافية والدينية، وبدأت جاهدة لطمس هو يتهم المميزة، فتوقفت عن تعيين القضاة بهدف النيل من أهمية الدين، وأقامت جمعيات تبشيرية ومراكز للدعوة المسيحية بعدد لا يحصى في مختلف أنحاء البلاد... فشهدت البلاد ما شهدته من جهود مركزة من الإنكليز لجعل عقيدتهم تتوغل في أذهان الناس وتنفذ إلى قلوبهم عن طريق نظام التعليم العصري المزعوم، وهم استغلوا في هذا الخصوص أوضاع الفقر والتخلف التي كان يعيشها الشعب الهندي بوجه عام، وكان هذا جزء لسياسة الإنكليز للاستيلاء على البلاد عن طريق الغزو الديني والثقافي"[20] حتى أعلن اللورد ميكالى "هدف تعليمنا إنشاء جيل في الهند يكون هندي النسل واللون وأوربي الفكر والذهن."[21]

وقد أدرك بعض العلماء الربانيين " أن الإنكليز قد قضوا على كثير

من الأوقاف التي كانت تغذي هذه المدارس بقصد القضاء عليها فأنه من الممكن أن تقوم مدارس جديدة لا تعتمد على أوقاف بل تعتمد على عامة الشعب الذين لا تمتد إليهم يد الحاكم وسطوته بمثل ما تمتد إلى الأوقاف أو إلى الأمراء أو الأغنياء الكبار من المسلمين."[22]

ويقول الدكتور زبير أحمد الفاروقي: "وبإقامة هذه المدارس رد هؤلاء العلماء ردا مسكتا على الخطة التعليمية التي رسمها الاستعمار الإنكليزي بهدف إنشاء جيل في الهند يكون هندي النسل واللون وأوربي الفكر والذهن، حيث كان غرضهم من التعليم إيجاد جيل يكون بلونه وعنصره هنديا ويتنور قلبه وعقله بنور الإسلام، وتموج نفسه بالعواطف الإسلامية ثقافة وحضارة وسياسة."[23]

وأول من اعتنى بهذا الأمر المهم، وقائد هذه الفكرة العظيمة هو الشيخ مولانا قاسم النانوتوي ورفقاؤه، فقد أجمعوا على إقامة سلسلة من المعاهد التعليمية الدينية في جميع أنحاء البلاد، وقرروا إنشاء أول معهد من هذا النوع، ووقع الخيار لذلك على قرية ديوبند، وقاموا بوضع حجر أساس مدرسة فيها. لقد قام الحاج محمد عابد بجمع التبرعات، فلم تمض أيام حتى إنها لت التبرعات حتى تمكنوا من إنشاء مدرسة في مسجد صغير يسمى مسجد تشتى بطالب واحد وهو محمود الحسن (شيخ الهند) واستاذ واحد المقري محمود تحت شجرة رمان في شهر محرم الحرام عام 1283هـ/1866م، وتولى مهام إدارتها مولانا النانوتوي. مولانا أسير

أدروي يقول:

"قد اجتمع علماء قرية ديوبند والصلحاء ومشائخها والرجال الكرماء في مسجد تشتى وتم إنشاء دار العلوم بالاستاذ ملا محمود وطالب محمود الحسن الديوبندي في 15 محرم الحرام 1283ه/30 مايو 1866م يوم الخميس."[24]

ثم نمت هذه المدرسة وترعرعت مع مرور الزمن حتى أصبحت أم المدارس وكبرى الجامعات الإسلامية العربية في شبه القارة الهندية. يقول السيد أبو الحسن علي الندوي: "إن أكبر معهد ديني في الهند يستحق يسمى أزهر الهند هو معهد ديو بند الكبير، بدأ هذا المعهد كمدرسة صغيرة لا تسترعى الاهتمام ثم لم تزل تتوسع وتتضخم بفضل جهود اساتذتها والقائمين عليها وإخلاصهم وزهدهم في حطام الدنيا حتى أصبحت جامعة دينية كبيرة بل كبرى المدارس الدينية في قارة آسيا، وكان افتتاحها في قرية ديوبند من القرى التابعة لمدينة سهارنفور في مسجد صغير عام 1867م أسسها العالم الجليل المخلص الشيخ محمد قاسم النانوتوي المتوفى في 1881م وكان الاعتماد فيها على الله، ثم على ا لتبرعات عامة المسلمين."[25]

أما المبادي والأسس التي عينها النانوتوي للمدرسة هي عدم قبول أية منحة من الحكومة أو ممن يتصل بها ولا تمتلك إقطاعات أو موارد ثابتة، والاعتماد الكلي في ميزانيتها على تبرعات عامة الشعب وإعانة المخلصين

الغيارى على الدين والعقيدة والعلوم الإسلامية من الأثرياء من داخل البلاد وخارجها، ولا تكون عليها أية سيطرة مباشرة أو غير مباشرة للحكومة.

وهدف هذه المدرسة تعليم الكتاب والسنة على المستوى العالي بجميع ما يتعلق بها من العلوم وتدريس اللغة العربية وتخريج علماء حريصين على نشر الإسلام وخدمته، و"شعار دار العلوم ديوبند التمسك بالدين والتصلب في المذهب الحنفي، والمحافظة على القديم والدفاع عن السنة."[26]

لقد قامت هذه الجامعة بالحفاظ على العقيدة الإسلامية وإصلاحها وهوية المسلمين وحضارتهم وثقافتهم، ومحو البدع والخرافات وإزالة المحدثات في الدين والدعوة إلى العقيدة الإسلامية الصحيحة، والمعارضة ضد العقائد المسيحية وأباطيلها الكاذبة، وما مضت أيام قليلة إلا أنها أصبحت قلعة منيعة لسد الأفكار الغربية والهجمات التبشيرية والمحاولات الاستعمارية ضد الإسلام والمسلمين، وأصبحت حركة إصلاحية كبيرة اقتفاها واتبعها جميع الحركات الإسلامية التي نشأت بعدها. "وليست دار العلوم عندي جامعة أو مدرسة أو مركزا للتعليم والتربية فحسب بل إنها حركة، ودعوة ومدرسة فكرية مستقلة"[27] وطبقا لقول شيخ الهند مولانا محمود الحسن "كان تأسيس دار العلوم بديوبند كفارة لثورة 1857م."[28]

وبعد تأسيس دار العلوم بديوبند قد قام الشيخ النانوتوي بإنشاء عدد كبير من المدارس في مختلف المدن والقرى من مثل تهانه بهون في مديرية مظفر نغر، وجلاؤتهي في مديرية بلند شهر، وكيرانه في مديرية

مظفر نغر، ودانبور في مديرية بلند شهر، وميروت ومراد آباد وغيرها من المدن والقرى.

مناظراته مع الأساقفة والهندوس

لقد قامت الحكومة الاستعمارية برعاية مصالح الإرساليات والبعثات التبشيرية ومعاونة الأساقفة والقسيسين حتى أصدرت الأحكام للجيش والمؤظفين بتسهيل مهمتهم، وقامت بتقديم العون المادي والمعنوي لهم.

وفي جانب آخر قام ا لحكام الإنجليز بتشجيع العديد من الحركات السياسية والدينية التي كانت تشن الدعايات ضد المبادئ الأساسية للعقيدة الإسلامية لإضلال المسلمين وقد أثمرت جهود الإستعمار والتنصير في الهند حركات هندوكية كثيرة لا يقل خطرها على المسلمين عن خطر الإرساليات التبشيرية والتنصيرية ومنها حركة آرية سماج الهندوكية التي أسسها ديانند سرسوتي في مومبائي في عام 1875م لتعزيز أساس حكومتهم. يفيد الدكتور زبير أحمد الفاروقي: "من جهة أخرى قام الحكام الإنجليز بتشجيع العديد من الحركات السياسية والدينية على إضلال المسلمين الهنود، وكانت في مقدمتها آريه سماج الهندوكية المتعصبة التي كانت قد شنت دعاية ضد المبادئ الأساسية للعقيدة الإسلامية، ولو لا دار العلوم وعلماؤها المخلصون وجهودهم المتفانية للحفاظ على دينهم شكلا وروحا لكانت تلك الحركات نجحت في تشويه الإسلام والنيل من عقيدة المسلمين، فالفضل في التصدي لهذا الخطر والرد عنه أيضاً يعود إلى

العلماء القائمين على دار العلوم في ديوبند والمدارس الأخرى التي كانت أقيمت على غرارها"[29]

وكان قائد تلك الجماعة المصلحة الشيخ مولانا قاسم النانوتوي، فقد قام الشيخ بالرد على تلك الفرق الضالة وبذل جهوده الجبارة في إذ لا لهم ودحض أباطيلهم، ولو لا كانت مساعيه المشكورة وجهوده المتفانية لكانت تلك الحركات نجحت في تشويه الإسلام وعقائده، فالفضل في التصدي لهذا الخطر العظيم والرد عنه أيضاً يعود إلى الشيخ النانوتوي.

وفي الفترة التي كان يقوم فيها بتصحيح الكتب في المكتبة المجتبائية في دهلي عام 1892م بلغه أن الأساقفة قد انتشروا في مدينة دهلي ويلقون خطابات مسمومة ضد الإسلام والمسلمين أمام عامة الناس، فأمر الشيخ تلاميذه أن يذهبوا إلى دهلي ويعارضوا الأساقفة ويلقوا الخطب، ويساعدوا أولئك الذين يقاومون النصارى والأساقفة، وفي النهاية توصلوا إلى عقد اجتماع وتواعد الأساقفة والعلماء المسلمون على المناظرة، واتخذوا له موعدا لا يخلفه أحد، فحضر الشيخ بنفسه هذه المباحث وناظر الأسقف تارا شند طويلا حتى أفحمه وأبكمه فلاذ بالفرار.

وكان المنشي بيارى لال أحد الإقطاعيين في تشاندفور بمديرية شاهجهان فور بولاية أترا براديش يجالس الأسقف نولس، ويميل إلى المسيحية ورغب في اعتناقها، فانه قام بعقد اجتماع باسم "معرض معرفة الذات الإلهية" في قريته سربانغ فور بمشورة نولس في 7 مايو عام

1876م، وحاول أن يشهد هذا الاجتماع كل من ممثلي الديانات الثلاث، الهندوسية والمسيحية والإسلام، ويتم البحث والمناظرات الدينية، فدعا إليه الأساقفة والعلماء الهندوس والعلماء المسلمين، أبلغ مسلمو مدينة بريلي والقرى المتجاورة لها الشيخ وطلبوا منه الحضور والمشاركة في الاجتماع، فإنه لبى دعوتهم. وحضر الاجتماع الشيخ أحمد علي الدهلوي والشيخ أبو المنصور الدهلوي وغيرهما.

قام الشيخ النانوتوي بإلقاء خطبة بليغة في الرد على عقيدة التثليث والشرك وإثبات التوحيد مما أدهش السامعين من الموافقين والمعارضين، ولجأ الأساقفة إلى التعرض لقضية القدر والقضاء كما كانت عادتهم، فقام الشيخ بشرح القضاء والقدر شرحا إنشرحت به صدورهم.

وفي السنة التالية إنعقد الاجتماع مرة أخرى، فحضره الشيخ في نخبة من العلماء، وقد حضر الاجتماع هذه المرة زعيم الأساقفة اسكات، وحبر الهندوس وصنديدهم البانديت دياننند سرسوتي الذي اخترع دينا جديدا، ويؤمن بالتوحيد وينكر عبادة الأصنام، ولكنه كان يؤمن بالفيدا والتناسخ وغيره من المعتقدات الهندوكية التي جعلته زعيما لفرقة هندوكية تدعى بآرية سماج. قام البانديت دياننند بشرح معتقداته واستخدم كثيرا من الكلمات السنسكرتية في خطابه، فلم يفهمه عامة الناس وحتى بعض الخواص أيضاً، فقام الشيخ محمد علي الذي كان شهيرا بالكفاح ضد الهندوسية والرد عليها وتصدى للرد على أباطيله ودحض أكاذيبه، ثم ألقى الشيخ النانوتوي خطبة

بليغة مؤثرة حول قضية الوجود وإثبات التوحيد، وشرح القضية شرحا وافيا، وإنه قام بإثبات التحريف في الإنجيل، وأرغم الأساقفة على اعتراف التحريف والتبديل في كتابهم المقدس الإنجيل من عند أنفسهم، حتى لاذوا إلى الفرار من الاجتماع وتركوا بعض كتبهم من المصادر والمراجع في العجلة.

كانت خطابة الشيخ النانوتوي حافلة بغزارة العلم وقوة البيان ونصاعة البرهان، فعلت كلمته وارتفع ذكره وصار حديث المجالس والنوادي، حتى "قال بعض الهنادك من فرقة آرية سماج وسناتن دهرم أن آلهة العلم سرسوتي كانت تتكلم بلسانه"،[30] وقال بعض الأساقفة: لو كنت آمنت بخطاب لآمنت بهذه الخطبة تأخذ بمجامع القلوب، فظهرت مكانته العلمية ومقدرته وموهبته، وانتصر الإسلام والمسلمون على يده، وكتب الله بقاء الإسلام والمسلمين في الهند إلى يوم القيامة.

لقد عزم الشيخ النانوتوي على زيارة بيت الله، وصحبه مولانا رشيد أحمد الكنكوهي، وشيخ الهند مولانا محمود الحسن وغيرهما من العلماء، وخرجوا في 1877/10م ورجعوا إلى الهند في مارس عام 1877م.

أتاه النبأ أن الباندت ديانند سرسوتي ورد ببلدة رووركي ويقوم بالطعن والتشنيع وإحداث الشكوك والشبهات في العقائد الإسلامية والقضاء والقدر، وإذا يتصدى له عالم من علماء المسلمين للرد عليه لا يرفع به رأسا ولا يحسب له حسابا ولا يأخذه بعين الاعتبار ويقول: "إني لن أناظر إلا

المولوي قاسم، فأرسل مسلمو بلدة روركي إليه بدعوة مقاومة ديانند، وكان الشيخ يعاني المرض الشديد الذي أصابه خلال عودته من الحج، فاعتذ إليهم، ولكنهم ما زالوا يصرون عليه، فبعث الشيخ من تلاميذه فخر الحسن الكنكوهي ومولانا محمود الحسن وعبد العدل الفلاؤدي ليناظروا الباندت، ولكنه لم يرض بالمناقشة معهم، وقال: إني أناقش المولوي قاسم وأناظره فقط، فرجعوا إلى ديوبند يائسين. ثارت غيرة الشيخ وحميته، فشد رحاله واستعد للسفر رغم ما كان يعانيه من مرض وضعف في 1878م، وصحبته جماعة من أصحابه، ووصل إلى روركي، ودعا الباندت إلى المناظرة واستماع الردود على اعتراضاته على رؤس الأشهاد، ولكن الباندت لم يرض بالحديث معه وأخذ يتعلل بشروط لاغية دلت على سوء نيته وخبث إرادته، وأخيرا طوى كشحه وخرج منها خائفا يترقب. أقام الشيخ في بلدة روركي نحو سبعة عشر يوما والقى خطبة بليغة أمام الناس رد فيها على الاعتراضات التي أثارها الباندت ضد الإسلام، وعاد الشيخ إلى ديوبند ومكث فيها أياما، ثم ذهب إلى نانوته وألف "قبله نما"، و"انتصار الإسلام" في الرد على اعتراضات الباندت.

ثم ورد الباندت في مدينة ميروت في 1879م وألقى فيها عصا تجواله وقام بإعادة نفس الاعتراضات، فأخبر مسلمو ميروت الشيخ عن نزوله في المدينة، فوصل الشيخ ميروت في يوليو عام 1879م ودعاه إلى البحث والمناظرة، فأخذ يدبر الحيلة وولى هاربا مختفيا، فالقى الشيخ هنا

خطبة في رده، وكثيرا ما كان يخاطب الشيخ الناس بحماسة وقوة وشدة ولباقة ويثير الغيرة والحمية وكانت كلماته هذه تجد آذانا صاغية وقلوبا واعية وعقولا ذكية متقدة بالفكر والنشاط وقام بجمع خطبه تلميذه الشيخ عبد العلي الميروتي في رسالة وسماها "جواب تركي بتركي" (الرد المماثل).

وبصرف النظر عن هذه الحركات وفتنها قد ظهرت فرق كثيرة من بين المسلمين تختلف في العقائد عن عقائد المسلمين والجمهور، ومن هذه الفرق القاديانية والشيعية، فقامت هذه الفرق أيضاً بالهجوم على عقائد عامة المسلمين، فانتبه الشيخ لإدعاء هذه الفرق وعقائدها الفاسدة وقام بتأليف الكتب لإبطال دعاويها.

وقد تدهور المجتمع الإسلامي ودخلت في حياة المسلمين التقاليد والخرافات والأعراف الفاسدة التي لا علاقة لها بالدين والشريعة الإسلامية، وبدأ الناس يتناولون الطقوس غير الإسلامية ويفتخرون بها، فقد قام الشيخ باصلاح المجتمع الإسلامي ولعب دور نشيطا في مجال الإصلاح والتقويم، فيفيد الدكتور زبير احمد الفاروقي: "ومن المهام التي قام بها الشيخ إصلاح المجتمع الإسلامي وتزكيته من الممارسات والتقاليد القبيحة التي لم تكن من الدين في شيء، وكانت قد تسربت إلى المجتمع الإسلامي بالممارسة مع المجتمع الهندوكي، ومنها الامتناع من تزوج الأرامل وغير ذلك، وقام بالتصدي للعادات الدخيلة في الإسلام والتي كانت غير متمشية مع التقاليد الدينية الخالصة، ومواجهة البعثات التبشيرية المسيحية ببالغ الحماس

والإخلاص والرد على الاعتراضات الموجهة إلى الإسلام من طرف دعاة الدين الهندوكي، فكان مناظرا ممتازا، لـه مشاهد عظيمة في المباحثه مع النصارى والآرية الهنادك.[31]

وفاته

توفي الشيخ مولانا قاسم النانوتوي ولفظ أنفاسه الأخيرة بعد صلاه الظهر من يوم الخميس في 15 أبريل عام 1880م. صلى عليه جم غفير من الناس، ودفن بعد صلاة المغرب في بقعة خارج البلد وقفها الطبيب مشتاق أحمد.

قد أراد الشيخ أن يعيش عزبا ولكنه رضي بالزواج بأمر أبيه وشيخه الحاج إمداد الله، وتزوج ببنت السيد الشيخ كرامت حسين، ورزق إبنين وثلاث بنات، وهم أحمد، ومحمد هاشم، والسيدة إكرامن، والسيدة رقية، والسيدة عائشة.

قال سر سيد أحمد خان على وفاته تعزية لـه: "لقد بكي الزمن على كثير، وسيبكي في الأيام الآتية، ولكن البكاء على شخصية ليس لها خلف يبعث ألما شديدا... وكان الناس يعتقدون أنه لا يولد بعد المولوي إسحاق مثله في جميع أوصافه، ولكن المولوي محمد قاسم قد حقق بكمال بره وتدينه وتقواه وورعه أنه ولدت شخصية مثل شخصية المولوي محمد إسحاق بل أكثر منه في بعض الأمور، وكان هذا بسبب ثقافة دهلي وتربيتها.[32]

وقد قام الشيخ ذو الفقار علي الديوبندي بنظم مرثية على وفاة الشيخ النانوتوي تشتمل على 15 بيتا ومنها:

يا قاسم الخير من للعلم والدين إذا ارتحلت وإرشاد وتلقين

يا قاسم الخير إسمع من لكربتنا يا قاسم الخير قل من للمساكين

من للمدارس من للوعظ من لهدى من للنكات توضيح وتبيين

من للشريعة أو من للطريقة أو من للحقيقة إذا رسيت في الطين

رحلت عنا ولم يوجد عديلك في العلوم والفضل من عرب إلى الصين

يا عين جـودي بدمع غير منقطع عـلى الذي جل من مدح وتابين

الهوامش

[1] مجلة الداعي: العدد 7، السنة 20، رجب/شعبان، 1417ھ/ديسمبر 1994م، ص37
[2] نفس المصدر، ص38
[3] عبد الرشيد أرشد: بيس برى مسلمان، مكتبة رشيدية 25 لوئر مال لاهور، طبعة 11، 2006م، ص114
[4] يعقوب النانوتوي: سوانح قاسمي، ص3، نقلا عن تذكره مشائخ ديو بند لمفتي عزيز الرحمن، إداره مدني، دار التاليف بجنور، أترا برا ديش، ص94-95
[5] عزيز الرحمن: تذكرة مشائخ ديوبند، اداره مدني، دار التاليف، بجنور، ص96
[6] اسير أدروي: مولانا قاسم نانوتوي-حيات اور كارنامى، شيخ الهند اكيدمي دار العلوم، ديوبند، 2005، ص55
[7] يعقوب نانوتوي: سوانح قاسمي، ص28، نقلا عن مولانا قاسم نانوتوي-حيات اور كارنامى لاسير أدروي، ص56
[8] نفس المصدر، ص56
[9] نفس المصدر، ص45
[10] اسير ادروي: مولانا قاسم نانوتوي-حيات اور كارنامى، ص54
[11] يعقوب نانوتوي: سوانح قاسمي، ص28، نقلا عن مولانا قاسم نانوتوي-حيات اور كارنامى لاسير أدروي، ص57
[12] سوانح قاسمي: ج1، ص241، نقلا عن مولانا قاسم نانوتوي-حيات اور كارنامى لاسير أدروي، ص58
[13] تذكرة الرشيد، ص30، نقلا عن تذكره مشائخ ديوبند، لمفتي عزيز الرحمن، إداره مدني دار التاليف، بجنور، ص97
[14] أبو الحسن علي الندوي: المسلمون في الهند، المجمع الإسلامي العلمي ندوة العلماء لكناؤ، طبعة 4 1998م، ص148
[15] زبير احمد الفاروقي: مساهمة دار العلوم بديوبند في الأدب العربي، دار الفاروقي، دلهي الجديدة، الهند، ص248
[16] عبد الرشيد أرشد: بيس برى مسلمان، ص118
[17] محبوب رضوي: تاريخ دار العلوم ديوبند، إدارة اهتمام دار العلوم ديوبند (اردو)، 1992، ج1، ص113
[18] اسير ادروي: مولانا قاسم نانوتوي-حيات اور كارنامى، ص105
[19] زبير احمد الفاروقي: مساهمة دار العلوم بديوبند في الأدب العربي، دار الفاروقي، دلهي الجديدة، الهند، ص16-17
[20] نفس المصدر، ص17-18
[21] الإمام محمد قاسم نانوتوي-حيات، أفكار، خدمات، تنظيم ابنائى قديم، دار العلوم ديوبند، 2005م، ص140
[22] عبد المنعم النمر: كفاح المسلمين في تحرير الهند، مكتبة وهبة 14 شارع الجمهورية بعابدين، طبعة1، 1964م، ص37

[23] زبير احمد الفاروقي: مساهمة دار العلوم بديوبند في الأدب العربي، ص 19
[24] أسير أدروي: مولانا قاسم نانوتوي-حيات اور كارنامى، ص129/128
[25] أبو الحسن علي الندوي: المسلمون في الهند، ص104
[26] نفس المصدر، ص105
[27] محمد أكبر شاه بخاري: أكابر علماء ديوبند، إدارة إسلاميات 190 أناركلي لاهور، ص10
[28] الإمام محمد قاسم نانوتوي-حيات، أفكار، خدمات، تنظيم ابنائى قديم، دار العلوم ديوبند، 2005م، ص124
[29] زبير احمد الفاروقي: مساهمة دار العلوم بديوبند في الأدب العربي، ص20
[30] أسير أدروي: مولانا قاسم نانوتوي-حيات اور كارنامى، ص174
[31] زبير احمد الفاروقي: مساهمة دار العلوم بديوبند في الأدب العربي، ص248
[32] محمد إكرام: موج كوثر، فريد بك دبو، نيو دلهي، ص267

البـــــاب الثالث

مساهمة مولانا قاسم النانوتوي
في الدراسات الإسلامية
دراسة نقدية

لقد مثلت الأمة الإسلامية التي حكمت الهند أكثر من ثمانية قرون دورا بطوليا رائعا في كل مجال من مجالات الحياة، وأضاف علماؤها وأدباؤها وكتابها ثروة علمية ضخمة وذخائر إسلامية ذات قيمة عظيمة إلى المكتبات الإسلامية الغنية، ونبغ فيها العلماء المصلحون الربانيون والدعاة والمفكرون والمؤرخون والمفسرون والمحدثون والفقهاء قل أمثالهم في العالم الإسلامي الآخر، ولا تزال الهند تنجب رجالا وشخصيات تقوم بخدمات جليلة نحو الدين والعلم والحضارة، وقد مست الحاجة في القرن التاسع عشر إلى عبقري عصامي يواجه الحضارة الغربية وسيلها العارم، ويهزم الاستعمار الإنجليزي وحلفاءه من الضالين المضلين، وأفكارهم الفاسدة وهجماتهم الجارفة ضد الإسلام والمسلمين ويحق الحق ويبطل الباطل بشجاعة وإيمان وذكاء.

فظهر الشيخ مولانا قاسم النانوتوي في مثل هذه الأوضاع المخيفة الرهيبة. كانت شخصية مولانا قاسم النانوتوي متنوعة النواحي حيث لا يوجد لها نظير في تاريخ الهند الحديث، فإنه كان عالما ربانيا عبقريا من عباقرة الأمة الإسلامية، وفيلسوفا من الفلاسفة المسلمين، كان يضارع الرازي والغزالي لأنه قد اخترع أسلوبا فلسفيا كلاميا جديدا لتفسير الإسلام والرد على معترضيه، ويتجلى أسلوبه الفلسفي الكلامي المقنع في مؤلفاته واضحا جلياً، قال شيخه الحاج إمداد الله فيه:

"ويكون لبعض الناس لسان من عند الله، كما كان رومي لسانا لشمس تبريز، ولساني مولانا قاسم، إنه.يعبر عما يخطر بقلبي"[1]

وكان الشيخ النانوتوي محدثا ومتكلما ومحقق عصره ومناظرا كبيرا وخطيبا بارعا، كان الناس يستمعون خطاباته بآذان مصغية وقلوب واعية وعيون شاخصة.

ومع هذا العلم الواسع كان يحب الخمول والعزلة ويكره الصيت والسمعة، وكان لا يحب أن يعرفه الناس ويخفي نفسه جهد طاقته حتى قال: "لولا يعلم الناس لأضعت نفسي حتى لم يعرف أحد أن قاسم قد ولد".[2]

ولكن مع الأسف الشديد لم تدع لـه المنية الفرصة ولم تمهله أن يخدم الإسلام والمسلمين أكثر مما قام به في عمره القصير، ومع ذلك إنه قد ترك آثارا علمية كبيرة ورسائل علمية أرسلها إلى تلاميذه وأصحابه لوجمعت لبلغت إلى مجلدات كبرى، فيقول اكبر شاه بخاري فيه: "كان مؤسس دار العلوم بديوبند وحجة الإسلام مولانا قاسم النانوتوي فريد العصر في جميع العلوم والفنون، وتشهد تصانيفه لعلومه إلى هذا اليوم"[3] وجميع تصنيفات الشيخ في لغته الأم "الأردية" ماعدا التعليق على الصحيح للبخاري، فهو في اللغة العربية، وقد تم النقل وترجمة بعض مصنفاته إلى اللغة العربية. ومن أهم مؤلفاته: حجة الإسلام، وانتصار الإسلام، وقبله نما، وجواب تركي به تركي، وهدية الشيعة، وأجوبه أربعين، وآب حيات، وتقرير

دلبزير، وتحذير الناس، وانتباه المؤمنين وعدد من المجموعات العلمية لرسائله ومكتوباته.

لن يستطيع كل من هب ودب من أولي العلم والمعرفة في هذا العصر أن يقوم بتعليق لائق على مؤلفاته أو بتعريف منفصل بها، فقد أعجزت مؤلفاته عن فهم معانيها علماء قليلي البضاعة في العلم فضلا عن عامة الناس. فلا مجال لي إلا أن ألقى الأضواء على ما شهدته كتب الشيخ النانوتوي من ظروف وما سبقتها من حوافز دعته إلى تأليفها والمواضيع التي تعالجها وتدور حولها. والحق أنكم إذا قرأتم أي كتاب لـه في أي علم وفن وجدتموه كأنه بحر متلاطم يموج علما ومعرفة، وأن صاحبه يتمتع بقدح عالية في البحث والدراسة.

لقد أدرك الشيخ النانوتوي الأخطار المحدقة بالإسلام والمسلمين في دياره وما تخفي في جنباتها من التدمير والتخريب. فقام بإلقاء نظرة عميقة فاحصة شاملة بعلمه الوافر الحجم وتجاربه الواسعة على علة الحركات الهدامة والسيل العارم الجارف وتنبه إلى الوسائل الوقائية لتجنب تلك الأخطار، وقام بالمقاومة ضد الاستعمار الأوربي بالسيف وبالقلم، ولعب دورا بارزا في هزم تلك الفتن السائدة في البلاد وتدمير مؤامراتهم ماديا وفكريا بينما كان قلبه يتوقد بالحماسة الدينية والروح القومية، وكان صدره معمورا بالإيمان القوي ومملوءا بالنشاط والحيوية، وذلك لأنه توارث العلم والنبوغ والشرف من أسرة الشاه ولي الله الدهلوي، وجمع من فضائل علمية

وعملية ونوادر الاخلاص والإيمان والاحتساب والتقوى والحمية في الدين والتبحر في العلم وبلاغة القلم وصناعة الإنشاء، وقام بإصلاح أحوال المسلمين ومقاومة أعداء الإسلام والمسلمين بمجهوداته العلمية والإصلاحية والمناظرة مع المسيحيين وعلماء الهندوس وزعماء الزيغ والضلال في موضوع العقائد والكلام والرد على افتراءاتهم وأكاذيبهم، فكان جل نشاطاته وأعماله ومؤلفاته ومحاضراته تركز على المناظرة والرد على افتراءات أعداء الإسلام وأكاذيبهم والدعوة إلى الله وإصلاح المجتمع، ومعظم كتبه ومؤلفاته حول نفس الموضوع في اللغة الأردية.

أسلوبه ومنهجه

قبل أن أعرف وألقي الأضواء على الكتب التي ألفها الشيخ النانوتوي أرى من الازم أن أوضح الأساليب والمناهج التي اتخذها الشيخ في التأليف والكتابة والتي جعلته وحيدا وفريدا ممن يعاصرونه ويعايشونه، سلك الشيخ النانوتوي سبيلا في كتبه لا يخطه أحد، وانتقى لنفسه منفذا يصعب سيره وحيث يحتاج إليه الشاق والالتزام الثابت والإخلاص في طيالة طرقه. لقد أصبح الشيخ مثلا عاليا للجهد والإخلاص في شؤون البحث والتحقيق، ونصب للناس معالم يقتدونها ويتبعونها في نشاطاتهم العلمية والعملية، ولا أبالغ في قليل أو كثير إذا قلت بأنه رجل لا يعرف معنى للراحة أو لا تعرف الراحة إليه سبيلا في خدمة الإسلام والدين الحنيف.

عندما نرجع إلى مؤلفات الشيخ النانوتوي وكتبه نلمح بسهولة أنه كان

رجلا واسع الإطلاع، غزير المعلومات، وله مكانة ملحوظة في لغته وأسلوبه، وكل ما كتبه في العقيدة كانت معانيه بعيدة الغور، عميقة الفهم، لأنه يكتب عن خبرة وتجربة ومشاهدة واتصال بالأحداث ويحمل إلينا المعاني الضالة على التدقيق.

لا يقوم الشيخ في مؤلفاته الكثيرة بالاستدلال بالنصوص ولا يستفيد من مؤلفات الغير ولا يستعين بالمصادر والمراجع إلا قليلا، فإنه يعتمد في إثبات عقائد الدين الإسلامي الرئيسية ووجود الباري والتوحيد وصفات الله عز وجل والإيمان بيوم الآخرة والقدر والنبوة ومعجزات الأنبياء عليهم السلام والملائكة على الدلائل العقلية، والفكرية والمنطقية، والأساليب الفلسفية، وأمثلة المشاهدات اليومية، وإنه يحاول بتقريب الحقائق الغيبية إلى العقل والوجدان، وتوجد في محاولاته قوة بيانية وأسلوب كلامي، ومباحثة شاهجهانفور خير دليل وشاهد على قوة استدلاله، ولو جمعت الدلائل كلها المنتشرة في مؤلفاته ورسائله لصدقنا قول مناظر أحسن الكيلاني "لو تم تحويل قالبها لتكون أحسن من علم الكلام"[4] وقال أشرف علي التهانوي في مصنفات الشيخ قاسم النانوتوي: "لو يقم أحد بترجمة كتبه في اللغة العربية ولا يكتب إسم الكاتب ليقول الناس إنها كتب الإمام رازي أو الغزالي"[5] ولكن عندما يخاطب الفرق المسلمة مثل البريلوية والشيعية وأهل الحديث فإنه يعتمد على الكتاب والسنة، ويستدل بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ويتجنب من أسلوب المناظرة والمعاندة، ويكون أسلوبه أسلوبا

علميا خالصا خاليا من العصبية والطعن والتشنيع. أفاد العلامة أنور شاه الكاشميري أثناء تدريسه "لقد قام الشيخ قاسم النانوتوي بالكتابة في العقائد بمقدار لا تكون الحاجة إليها إلى مئة عام في المستقبل".[6]

كل مؤلفاته لقد طلبنا في المكتبات الواقعة بمدينة دلهي وخارجها لم يكن يستطيع الحصول على كلها إلا على بعضها فمعظم كتبه نادرة في المكتبات.

والآن سنلقي الأضواء على كتب الشيخ ومؤلفاته في الصفحات التالية وننقل بعض الأنموذج من كتبه حول القضايا التي شاعت في البلاد آنذاك مثل المسيحية وفتن حركة آية سماج والشيعية وغيرها من الفرق.

(1) حجة الإسلام

تحتوي هذه الرسالة على 48 صفحة، وقام بطبعها مجلس معارف القرآن دار العلوم بديوبند في عام 1967م.

من دواعي تأليف هذه الرسالة أن المنشي بيارى لال الهندوسي من سكان تشاند فور بمديرية شاهجهانفور بولاية أترا براديش قام بعقد حفلة كبرى في عام 1876م بعنوان "معرض التعرف على الذات الإلهية"، ودعا إليها كلا من ممثلي الديانات الثلاثة، الهندوسية والمسيحية والإسلام. فحضرها الأساقفه والعلماء الهندوس والعلماء المسلمون، وكان رائد جماعة العلماء المسلمين هو حجة الإسلام الإمام قاسم النانوتوي. قبل حضور هذه الحفلة قد قام الشيخ النانوتوي بإعداد محاضرة ليلقيها في الحفلة، ولكنه لم

يقدمها أمام الناس بل ألقى خطبة بليغة أمام جم غفير، كان فيه عدد ملموس من أهل العلم والمعرفة. وبعد انتهاء الحفلة اهتم بطبع تلك المحاضرة التي أعدها الشيخ للحفلة تلميذه فخر الحسن الكنكوهي وسماها "حجة الإسلام"

تشتمل هذه الرسالة على المهم من العقيدة وعلم التوحيد، ولها أهمية كبرى في الدفاع عن العقائد الإسلامية ومباديها وأسسها، وفيها بحث شامل في اثبات التوحيد والرسالة والقدر، واستقبال القبلة، وأركان الصلوة مثل القيام والركوع والسجود ومصالحها، وكذلك حقيقة الصوم، والزكوة، والحج، وعصمة الأنبياء ومعجزاتهم، وفصاحة القرآن وبلاغته، وختم النبوة، وأسباب النسخ في القرآن الكريم، وأفضلية النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وحلة اللحم وحرمته، ثم الرد على عقيدة التثليث والشرك والكفر. والمخاطب في هذه الرسالة هم المسيحيون ولكن الإفادة فيها عامة لجميع أصحاب الديانات الأخرى.

نحن نقسم مباحث هذه الرسالة إلى أربعة:

(i) غرض تخليق الإنسان

بحث الشيخ في هذا الموضوع أنه ما خلق الله شيئا باطلاً، و وراء تخليق كل شيء غرض خاص، فمثلا إن الله خلق الأذنين للسمع، والعينين للبصر، والأنف للشم، وكذلك خلق الإنسان والبشر لعبادته وإطاعته و وضح غرضَ تخليقه في آية قرآنية "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"، لقد خلق الله كل شيء لخدمة الإنسان وخلق الإنسان لعبادته

وطاعته،ووظيفته أن يستخدم كل شيء موجود في العالم ويطيع خالقه ويعبد ربه، يقول الشيخ في إثبات دعواه: "فخلاصة البحث أن الغرض الأصلي من وراء خلق الإنسان أن يعمل لله تعالى ولا يشتغل بأمر سواه، وإلا لما كان محتملا أن يصدر عنه عمل أفضل من الغرض الأصلي وإلا لكان ذلك هو المقصود من خلقه، ولأصبح كمثل الثوب الذي ينسج ليتخذ لباسا ولكنه أحرق ليخبز به الخبز بدل أن يلبسه، ومن بداهة الأمر أن هذا العمل يعد سوء حظ بالنسبة للثوب، وكذلك الإنسان الذي حرم الغرض الأصلي من خلقه لن يشك أحد في أنه سيء الحظ."[7]

(ii) التوحيد

لقد قام الشيخ في هذا الجزء بإثبات وجود الباري ووحدانيته بالدلائل العقلية، ورفض العقيدة أن يكون لـه والد أو ولد، أو أن يكون لـه إخوة، ورد على عقيدة التثليث ردا شديدا، وأثبت أن الله الذي خلق العالم كله هو يستحق العبادة ولا غيره. وأثبت التحريفات في الإنجيل. ثم إنه قام بتوضيح فلسفة أركان الإسلام مثل الصلوة والزكوة والصوم والحج توضيحا شاملا وافيا. إنه يقول في إثبات التوحيد "أضيفوا إلى ذلك أن كل شيء في العالم لـه حقيقة مغايرة عن حقيقة الآخر رغم أن الوجود في نفسه يختلف عن كل حقيقة، ولذلك فإن الشمس الداخلة من النافذة كما أن فيها شيئين: النور والصورة، ولكن النور لا يوجد فيه الشيآن، فكذلك الخلق يوجد فيه شيآن: الوجود وحقيقة الخلق، غير أن الوجود نفسه لا يوجد فيه هذان الشيآن، فأنى

يمكن أن يسع الموجود الأصلي الذي أفاض الوجود على الخلق جميعا التعدد والثنوية وذلك لأن الحرارة كما أنها لن تصدر عن شيء حار بذاته وعن شيء حار بالغير، وأن البرودة لن تشع عن شيء بارد بذاته وعن بارد بغيره معا. ولذلك لا يسع المصدر المصلي للحرارة والبرودة تعددا يعارض وحدة الحرارة والبرودة. وكذلك لن يصدر الوجود عن موجود أصلي وغير أصلي، فلن يتحقق التعدد في الوجود يخالف الوحدة بالنسبة إلى الموجود الأصلي أيضاً... وقد ظهر بما تحدثت من قبل عن الموجود الأصلي أن الله تعالى واحد أحد ويراد بذلك أن الله تعالى لا يوجد فيه أي تركيب."[8]

(iii) الرسالة

لقد أثبت الشيخ في هذا الجزء رسالة محمد صلى الله عليه وسلم والحاجة إليها، وأن الإيمان بالرسالة المحمدية جزء لا يتجزأ من الإيمان الكامل، وأن المسلمين يؤمنون بنبوة جميع الأنبياء والمرسلين، ومحمد صلى الله عليه وسلم هوخاتم النبيين وأفضلهم. إنه قام بمقارنة معجزات النبي صلى الله عليه وسلم بمعجزات الأنبياء الآخرين، واستدل فيه بأفضليته العلمية والخلقية، وجاء بدلائل عقلية ونقلية، وأثبت دعواه بأسلوب كلامي جذاب رائع جميل، وفتح مجالا جديدا واسعا للآخرين للبحث والتحقيق.

(iv) حلة اللحم وحرمته

وفي هذا البحث رد الشيخ النانوتوي على اعتراضات وافتراءات مؤسس حركة آرية سماج الهندوكية الباندت ديانند سرسوتي، وهي أن المسلمين يذبحون الحيوانات ويأكلون لحومها ويظلمون الخلائق، وقال الباندت: "ماس ماس برابر، جيسي كائي ويسي سور" (جميع اللحوم سواء، لحم البقرة كان أو لحم الخنـزير). فرد عليه النانوتوي في نفس الأسلوب والكلمات وقال: "عورت عورت برابر، جيسي بيوي ويسي مادر؟" (النساء كلهن سواء، زوجة كانت أو أما؟) وإنه أثبت بالدلائل العقلية والبراهين أن هذا العمل طبقا لفطرة الله التي خلق العالم كله عليها، وامتثالا لأوامر الله سبحانه وتعالى، فقد أحل الله اللحوم وذبح الحيوانات باسمه تعالى والاستفادة بها، ثم ذكر الشيخ فوائد اللحوم من ناحية الطب.

(2) انتصار الإسلام

يحتوي هذا الكتاب على 96 صفحة، وألفه الشيخ النانوتوي في 1878م قبل سنتين من وفاته، واهتم بطبعه تلميذه الرشيد مولانا فخر الحسن الكنكوهي وسماه "انتصار الإسلام" وتم طبعه في المطبعة الإعزازية بديوبند.

كتب الشيخ النانوتوي هذا الكتاب في الرد على اعتراضات الباندت ديانند سرسوتي الفلسفية ضد العقائد الإسلامية، ودحض افتراءاته وأكاذيبه ضد الإسلام والمسلمين.

ومن دواعي تأليف هذا الكتاب و"قبله نما" أن الباندت دياناند سرسوتي ورد في مدينة "رووركي" بعد أن هزمه الشيخ والعلماء المسيحيين في مناظرة "معرض معرفة الذات الإلهية" في تشاند فور بمديرية شاهجهانفور، وأخذ يوجه إلى الإسلام والمسلمين نفس الاعتراضات التي تبلغ إلى 11 سؤالا، ولم يكن في مدينة رووركي عالم من علماء المسلمين يرد على اعتراضاته الفلسفية، وإذا يتصدى له عالم للرد عليه لا يلقي له الباندت وأتباعه بالا ولا يرفعون به رأسا، وكان الباندت يدعو مولانا قاسم النانوتوي للبحث والمناظرة فلبى الشيخ دعوته ووصل مدينة رووركي ودعا الباندت للمناظرة ولكنه لم يرض واعتذر وفر من المدينة خائفا يترقب. ألقى الشيخ النانوتوي خطبة بليغة مؤثرة أمام الناس ثلاثة أيام متتالية، وبرهن على حقية الإسلام بدلائل قاطعة، ورد على اعتراضات الباندت بردود مفحمة مقنعة.

فكر الشيخ أنه قد أخمد هذه الفتنة حاليا، ولكنها لم تمت كليا لأن الاعتراضات التي قد أثارها الباندت ضد الإسلام في كتابه "ستيارتهـ بركاش" سيثيرها في المستقبل أيضاً ولا يكون إذا أحد يجيبها. فقام بتأليف هذه الكتاب وكتب ردودا على الاعتراضات الحادية عشرة للباندت. وفي هذا الكتاب الرد على الاعتراضات العشرة، وكان هذا الكتاب بدون إسم، فسماه تلميذه مولانا فخر الحسن الكنكوهي "انتصار الإسلام"، وأضاف إليه الردود على الاعتراضات التي أثارها الباندت في مباحثة شاهجها نفور

على وجود الجنة والنار، وأضاف إليه الكلمات التي ألقاها الشيخ النانوتوي لإثبات وجود الملائكة والجن، كما أن هذا الكتاب يحتوي على أفكار سر سيد أحمد خان، لأنه كان يوافق الباندت في بعض آرائه في إنكار وجود الشياطين والجن والملائكة وجودا خارجيا، وفي إنكار وجود الجنة والنار وجودا حقيقيا.

ومن اعتراضات الباندت ديانند سرسوتي أن المسلمين يعتقدون أن الله قادر مطلقا، ولكنه لا يقدر على إماتة نفسه ولا على السرقة، فعلى هذا إنه لا يكون قادرا مطلقا.

لقد أجاب الشيخ النانوتوي في أسلوب عقلي كلامي وفسلفي فقال:

"وجملة القول أن كل مقيد لا بد لـه من مطلق، كما تدل عليه شهادة العقل وإجماع المناطقة، لذلك فإن لم يكن الله تعالى قادرا مطلقا كان قادرا مقيدا، ولزم القول بقادر مطلق فوقه، ولما كان القادر المطلق وجب لـه أن يقدر على إماتة نفسه وإماتة غيره – على حد قول الباندت، وكما جاء في الاعتراض- كان قادرا على إماتة نفسه وإماتة الله، بل كان خالقا لله، ومفيضا عليه الحياة، لأنه كل أحد يستطيع أن يسلب أحدا صفة لم يمنحه اياها؟...

وبديهي أن الوجود والحياة صفتان، فمن سلبهما أحدا كان هو الذي منحه إياهما، إذا تصير الألوهية لعبة من

اللعب.

وبالجملة فعدم الاعتراف بكون الله قادرا مطلقا قول عظيم يستلزم إنكار ألوهية الله تعالى، لا قدرته الكاملة فحسب."[9]

ومن اعتراضات البانديت أن عقيدة المسلمين أن الشيطان يضل الإنسان ويحرضه على المعاصي والتمرد والطغيان، فمن أضل الشيطان؟ فهذه عقيدة خاطئة، والإنسان يقترف السوء بنفسه ولا يحرضه أحد عليه.

أجابه الشيخ النانوتوي "إن الارتياب في وجود الشيطان وإزلاله وإغرائه بدعوى أنه لا يوجد لـه من مزل كالارتياب في تسخين النار الماء، بدليل النار لا يوجد لها مسخن، وفي إشراق الشمس الأرض، بدليل أن الشمس لا يوجد لها مشرق ومنور. على هذا فيلزم إنكار وجود النار والشمس، وتخطئة تسخين الماء بالنار، وإشراق الأرض بالشمس، بل ويجب – بناءا على هذا – إنكار وجود الله تعالى بدعوى أنه ليس لـه خالق، وإنكار وجود المخلوقات في العالم، فينبغي أن يقال هناك – كذلك – كما أن الإنسان بدوره يقارف أعمال السوء، تخلق المخلوت بدورها دونما خالق."[10]

(3) قبله نما

هذا الكتاب يشتمل على 104 صفحة، وتم طبعه في قسم النشر والإشاعة لدار العلوم بديوبند في عام 1969م.

هذا التأليف أيضاً في رد اعتراضات الباندت دياناند سرسوتي، لقد رد الشيخ النانوتوي على اعتراضاته العشرة في "انتصار الإسلام" أما الرد على الاعتراض في استقبال القبلة فكان مفصلا طويلا فكتبه في رسالة مستقلة وسماها "قبله نما".

هذا الكتاب ذو قيمة كثيرة لأنه يضم بحوثا دقيقة ومعلومات قيمة، استدل فيه الشيخ بالأدلة المقنعة والشواهد الكافية، وكل شيء بأسلوب علمي دقيق. إنه رد على مطاعن الباندت ردا قاطعا وشرح فلسفة استقبال القبلة في الصلوة شرحا وافيا، وقارن بين استقبال القبلة والوثنية مقارنة دقيقة علمية فلسفية وكلامية. الكتاب حافل بالادلة المقنعة والبراهين القاطعة، وتجلى فيه شعلة الشيخ الإيمانية وحبه الدفين وعاطفته الدينية وإيمانه الكامل الشديد بأركان الإسلام وفلسفاتها، وعلمه العميق في الدراسات الإسلامية والعقائد الإسلامية ودقائقها وأسرارها ورموزها، وإلمامه بالتاريخ الإسلامي إلماما تاما. فهذا الكتاب يحتل مكانة ممتازة بين سائر مؤلفاته العلمية والدعوية في متانة الأسلوب وقوته وحجته واستدلاله واعتماده على الدلائل العقلية والفلسفية الكلامية، وكذلك الدلائل النقلية.

كان الباندت دياناند سرسوتي يتهم المسلمين أنهم يعبدون الكعبة ويسجدون لها مثل الكفار والمشركين الذين يعبدون الأصنام والأوثان، فلا فرق بينهم وبين الوثنيين، والمسلمون أيضاً هم الوثنيون.

لقد أثار الباندت هذا الافتراء والكذب والاتهام بقوة شديدة، فكان من

الواجب أن يرده المسلمون ويفحمونه بأدلة ثابتة أن المسلمين يعبدون الله ربه، ولا يعبدون الكعبة ولا يشركون بالله شيئاً. فقام الشيخ النانوتوي بهذا الأمر العظيم ورد على اعتراضات الباندت ردا مسكتا، وأفحمه، وأدى حقه في إثبات العقيدة الإسلامية وفلسفاتها بأسلوب شيق، وجاء ببحوث علمية دقيقة لا مجال إليها لكبار العلماء والمتكلمين وأصحاب البيان، حتى لا يستطيع العلماء الكبار فهمها إلا بدقة.

لقد أجاب الشيخ أن الكلمات "استقبال الكعبة" و"الوثنية" تدل على أن هناك فرقا واضحا بينهما، فمعنى "استقبال الكعبة" هو التوجه إلى جهة الكعبة، ومعنى "الوثنية" هو عبادة الوثن والصنم بعقيدة بأنه هو الإله، ولكن المسلمين لا يستقبلون الكعبة بعقيدة بأنها هو الإله.

والجواب الثاني أن المسلمين يستقبلون الكعبة في الصلوات فلا يحتاجون إلى نية استقبال الكعبة، بل إنهم يحتاجون إلى نية عبادة الله وحده، فيتبين أنهم يعبدون الله ولا يعبدون الكعبة، ولكن الكفار والمشركين ينوون عبادة الأصنام والأوثان.

والجواب الثالث أن الكلمات التي يؤديها المسلم في صلاته كلها تدل على الحمد لله ربّ العالمين والثناء عليه والدعاء إليه، ولا تدل أي كلمة على حمد الكعبة والثناء عليها والتضرع إليها، وأما المشركون فأحوالهم واضحة بينة.

والجواب الرابع أن المسلمين يدعون الكعبة ببيت الله، ولا يقولون

إنها آلهة، وكل من يذهب إلى لقاء أحد لا تكون نيته لقاء البيت، بل تكون نيته لقاء ساكن الدار، فيسلم عليه ويكرمه ويحترمه، وكذلك كل من يذهب إلى قصر الملك ويحضر في البلاط الملكي لا يسلم على قصر الملك بل يسلم على الملك ويركع أمامه ويسجد لـه ليسترضيه، فكذلك أحوال المسلمين، فإنهم يعبدون رب الكعبة ولا يعبدون الكعبة، ويسجدون أمام رب الكعبة ولا يسجدون للكعبة، خلافا للمشركين فإنهم لا يدعون الأوثان والأصنام أنها بيت ربهم بل إنهم يدعونها أنها هي الرب والخالق ويسجدون لها.

وهناك دلائل كثيرة وتمثيلات متعددة لتوضيح الأمر في ضوء المشاهدات والتجارب والأحداث اليومية امتدت إلى 60 صفحة. ثم قام الشيخ باثبات أن "القرآن الكريم" هو كلام الله، ورد على العقيدة أن "الفيدا" هو كلام الله بدلائل كثيرة، ثم قدم بحثا قيما في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وخلقه ومحاسنه وكماله العلمي، ودلائل النبوة ومعجزات النبي صلى الله عليه وسلم، وأفضليته على الأنبياء والمرسلين الآخرين.

(4) جواب تركي به تركي

يحتوي أصل الكتاب على 59 صفحة، وقام بطبعه مجلس معارف القرآن بديوبند في عام 1967م لأول مرة، ثم قام بتسهيله وتشريح كلماته الصعبة والعبارات المعقدة مولانا اشتياق أحمد وسماه "براهين قاسمية" فيشتمل الآن على 106 صفحة.

لقد ألف الشيخ النانوتوي هذا الكتاب في الرد على الاعتراضات التي أثارتها الرسالة "آريه سماجار" كان يقوم بإدارتها وطباعتها ونشرها من مدينة ميروت "لاله آنند لال" من متبعي حركة آريه سماج الهندوكية، وكان ترجمانا للباندت ديانند سرسوتي مؤسس حركة آرية سماج، وكان "لاله آنند لال" يوجه الاعتراضات المسمومة إلى المسلمين ويشن على عقائدهم ونبيهم وكتابهم. فعزم الشيخ على سد تلك الفتنة الهدامة، ولكنه كان يعاني المرض الشديد في تلك الآونة. فأملى على تلميذه الرشيد مولانا عبد العلي الميروتي العبارة. فالمضمون والفكرة للشيخ النانوتوي، والكلمات والعبارات وترتيبها لمولانا عبد العلي الميروتي.

لقد أجاب الشيخ جميع الأسئلة والاعتراضات التي أثارها "لاله آنند لال" في رسالته. فالمباحث الأساسية لهذا الكتاب تدور حول وجود الباري، وذاته وصفاته، وعلم الإرادة، والقدر، وإثبات القرآن الكريم والكتب السماوية كلام الله، والحاجة إلى بعثة الأنبياء والمرسلين، والدلائل على ختم النبوة على محمد بن عبد الله الأمين صلى الله عليه وسلم .

والأسلوب في الكتاب أسلوب علمي كلامي دقيق، حافل بالتعقيد والزخرفة اللفظية. وليس في الكتاب أبواب وفصول بل فيه عبارة تستمر من البداية إلى النهاية بدون أي وقف أو تبديل سطور، فقد أصبح الكتاب لغزا لا مجال إلى فهمه وحله حتى للعلماء الكبار البارزين مع أن الكتاب في اللغة الأردية.

(5) هدية الشيعة

لقد تسربت في عهد الشيخ النانوتوي الجرثومة الشيعية إلى المجتمع الإسلامي الهندي واستهدفت عقائد الجمهور من المسلمين. فشاعت العقائد الشيعية وتقاليدها في حياة كل مسلم وأسرته وعشيرته، وفي جانب آخر جعل أهل التشيع يستهدفون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالطعن والتهم والافتراءات وخاصة الخلفاء الثلاثة من الخلفاء الراشدين، فقاموا بتكفيرهم وإشاعة افتراءاتهم بين عامة المسلمين، فشمر الشيخ النانوتوي عن ساقه لمقاومة هذه الفرقة علميا وعمليا، وقام بالتاليفات في رد مزعوماتهم الباطلة وافتراءاتهم على الخلفاء الراشدين.

ومن أهم التاليفات للشيخ النانوتوي في هذا الموضوع "هدية الشيعة" ويلقي الشيخ مناظر أحسن الكيلاني الضوء على هذا الكتاب بقوله: "ويمكن لي أن أقول إن التاليف أكثر ضخامة في سلسلة التأليف والتصنيف لسيدنا الإمام الكبير ذلك الكتاب الذي قد حاول فيه إزالة سوء التفاهم لأهل التشيع من صميم قلبه، قد تم طبع ذلك الكتاب في أكثر من 350 صفحة... وإسم ذلك الكتاب "هدية الشيعة"[11]

لقد قام الشيخ في كتابه بالإشارة إلى الافتراءات والأكاديب الشيعية على الخلفاء الثلاثة وردها وإبطالها وإثبات الحقائق الصحيحة في ضوء الدلائل العقلية والنقلية، واستمد بالمصادر والمراجع والكتب الرئيسية في التاريخ والعقائد الإسلامية خلافا لمنهجه وأسلوبه في تاليفاته الأخرى، وجاء

بالدلائل من المراجع والمصادر الرئيسية لأهل التشيع، ورد عليهم بنفس النصوص والدلائل والملفوضات التي وردت في الكتب الشيعية وقام بتأليفها كبار العلماء والأئمة من أهل التشيع، ثم وضح الشيخ القضية في ضوء الكتاب والسنة.

الموضوعات الرئيسية التي عالجها الشيخ في هذا الكتاب هي: الإمامة، والتحريفات في القرآن الكريم، ومكانة الصحابة، وخلافة علي τ، ووراثة فاطمة τ الزهراء، وقصة قرطاس، وتاريخ فدك، والعقائد الشيعية مثل التقية والمتعة وغيرها من الموضوعات، فقد أصبح هذا الكتاب موسوعة علمية في عقائد أهل التشيع.

وهناك تأليف آخر للشيخ النانوتوي في جواب 40 سؤالا قد أثاره أهل التشيع. هذا الكتاب يحتوي على 400 صفحة ومعروف بـ "أجوبة أربعين" في مجلدين. وفي المجلد الأول قد أجاب الشيخ 28 سؤالا، وفي الثاني أجاب 12 سؤالا. قد أجاب الشيخ الأسئلة بالإيجاز أولا، ثم بالإطناب والتفصيل ثم أقام الشيخ 42 سؤالا أحاط فيه مذهب أهل التشيع بأجمعه، وقام بمطالبة الإجابة في موضوعات إثبات عقيدة الإمامة، ومعنى الولي في معنى الحاكم وأسباب عدم ظهور الإمام الغائب، التحريفات في القرآن الكريم، والتقية، والمتعة، والفدك وغيرها من العقائد الشيعية الرئيسية.

وفي جميع هذه المباحث التي تدور حول مذهب أهل التشيع أسلوب الشيخ النانوتوي أسلوب علمي عميق مفيد، ويدل هذان الكتابان على علمه

الغزير ومعرفته عن الشيعة وتاريخها وعقائدها وفقهها وعن أمهات الكتب الشيعية، ومطالعته الواسعة وأهلية الاستفادة منها.

(6) آب حيات

كتاب فريد في موضوعه، وبحث معقد عميق بأسلوب كلامي فلسفي في مسئلة حياة النبي صلى الله عليه وسلم يدل على غزارته العلمية، وبلاغة القلم ودقة الإنشاء، والزخرفة اللفظية في البيان، لا يستطيع كبار من العلماء وأهل العلم واللغة أن يصلوا إلى معانيه، ويفهموا البحوث العلمية إلا بدقة وبعد تفكير عميق "قال شيخ الهند مولانا محمود الحسن الديوبندي إني قد قرأت هذا الكتاب على الشيخ النانوتوي في الدرس."[12] فقد درس شيخ الهند الكتاب من نفس المؤلف لحله وفهم بحوثه، فكيف يستطيع عامة الناس أن يفهموا مضامينه العلمية العميقة.

العقيدة التي قام الشيخ ببحثها في مسئلة حياة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الكتاب تتصادم مع معتقدات العلماء الجمهور وأهل السنة والجماعة، وتتفق مع معتقدات أحمد رضا خان البريلوي ومتبعيه، حتى لا يتفق علماء ديوبند وعلماء أهل السنة والجماعة مع الشيخ النانوتوي في هذه العقيدة، ولا يعتقدون كما يعتقد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم.

كان من دواعي تاليف هذا الكتاب تلك الاعتراضات التي أقامها أهل التشيع في إرث النبي صلى الله عليه وسلم، وصنف الشيخ "هدية الشيعة" في رد الاتهامات على الخلفاء الراشدين في مسئلة الفدك، واستدل بدلائل

الكتاب والسنة ورد عليهم بحديث النبي صلى الله عليه وسلم "لا نورث ما تركناه صدقة." ثم ألف الشيخ "آب حيات" وألقى الأضواء على الموضوع بمنظور مختلف وجاء بدلائل عقلية ونقلية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم بأنه حي لم يمت، وقد أصبحت حياته مستورة عند موته، فلذلك لا يرثه أحد، لأن أحدا يرث في إرث الميت ولا يرث في إرث الحي، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا نورث ما تركناه صدقة" فمعناه أن النبي صلى الله عليه وسلم حي لم يمت، ولذلك لا يجوز لأحد أن يتزوج أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، خلافا للجمهور الذين يعتقدون أن هذه الحرمة لعظمة مكانة النبوة.

ثم قدم الشيخ دلائل عقلية عديدة، فمثلاً حياة النبي صلى الله عليه وسلم حياة ذاتية، وحياة المؤمنين الآخرين حياة عرضية، ولا زوال لحياة النبي صلى الله عليه وسلم، وتزول حياة المؤمنين الآخرين كما يصبح ضوء الشمس في الكسوف وراء الستار ولا يزول، خلافا لضوء القمر في الخسوف، فإنه يزول ويغيب.

ثم قدم الشيخ النانوتوي الدلائل النقلية على حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وتؤيد بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية دعواه، والتي تخالف دعواه فإنه يقوم بتوجيهات وتأويلات تؤيد دعواه وتدعمه.

وهناك عدد من المجموعات العلمية لمكتوباته ورسائله التي كتبها وأرسلها إلى من كتب إليه وقدم أمامه الأسئلة في موضوعات علمية

واستدعاه باجابتها، فأجابه الشيخ النانوتوي. وقد تم طبع بعض المجموعات وتعد من مصنفاته، وتشتمل بعض المجموعات على رسالة وأكثر منهما، وهذه الرسائل والمكتوبات طويلة يحتوي بعضها على عدة صفحات، ومن هذه المجموعات:

(1) انتباه المؤمنين: في اللغة الفارسية، تشتمل على رسالة وتحتوي على 18 صفحة، وتم طبعها في المطبعة الأحمدية بمدينة ميروت في عام 1867م.

(2) تحذير الناس: وهي تشتمل على رسالة، وتم طبعها في مطبعة صديقي بمدينة بريلي في عام 1874م.

(3) تصفية العقائد: وهي تشتمل على عدة رسائل أرسلها الشيخ إلى سر سيد أحمد خان، وتم طبع هذه المجموعة في المطبعة الضيائية بمدينة ميروت في عام 1881م.

(4) مناظرة عجيبه: وهي أيضاً تشتمل على عدة مكتوباته العلمية، وطبعت لأول مرة في مطبعة غلزار إبراهيم بمدينة مراد آباد.

(5) أسرار قرآني: وهي تشتمل على عدة رسائله، وطبعت بمدينة مراد آباد لأول مرة في عام 1887م.

ومجموعات رسائله الأخرى التي لا تعد من مصنفاته فهي:

(1) قام العلوم: تم طبعها في المطبعة المجتبائية بمدينة ميروت.

(2) فيوض قاسمي: قد رتبها تلميذ الشيخ النانوتوي مولانا عبد

العدل، وتشتمل على 36 رسالة، وتم طبعها في عام 1886م.

(3) جمال قاسمي: تشتمل على رسالتين، وتم ترتيبها وطبعها في المطبعة المجتبائية بدهلي في عام 92-1891م.

(4) لطائف قاسمي: تشتمل هذه المجموعة على 8 رسائل، وإنها أيضا طبعت في المطبعة المجتبائية بدهلي في عام 92-1891م.

(5) فرائد قاسمي: قد قام بترتيبها تلميذ الشيخ مولانا عبد الغني الفلاؤدي، وتشتمل المجموعة على 18 رسالة؛ وبعض الإفادات، وطبعت في عام 1980م لأول مرة.

(6) مكتوبات قاسمي: قد رتبها مولانا عبد الغني الفلاؤدي وهذه المجموعة غير مطبوعة.

وهناك عدد كبير من الرسائل التي لم يتم طبعها حتى الآن، وجميع الرسائل التي قد تم طبعها أولم يتم كلها تشتمل على مباحث علمية دقيقة مزينة بالدلائل العقلية والنقلية في أسلوب كلامي.

التعليقات على الصحيح للبخاري

قد اشتغل الشيخ مولانا قاسم النانوتوي بعد تكميل دراسته في عام 1849م بتصحيح الكتب في المطبعة الأحمدية في دهلي، وليس لـه أكثر من 17 سنة من عمره، كان الشيخ يقوم بتحقيق النصوص وإعدادها للطباعة. وفي هذه الفترة قد اراد العالم الجليل المحدث الشيخ أحمد علي

السهارنفوري الذي كان يدير هذه المطبعة طباعة الصحيح للبخاري بعد تحقيقه وتصحيحه وعزم على إضافة مفيدة بتعليقه عليه، وكتابة الحواشي في الصفحات التي تمس الحاجة إليها. وهناك بعض الروايات في الصحيح التي تتصادم بمسلك الأحناف، وقد قام الإمام البخاري فيها بالنقد اللاذع والطعن والتعقيب على أبي حنيفة بقوله: "قال بعض الناس"، فقام الشيخ أحمد علي السهارنفوري في تحشيته بتأييد مذهب الأحناف وإثباته والرد على شبهات الإمام البخاري واعتراضاته وتوضيح الروايات التي تتصادم بمذهب الأحناف حتى لا يكون المجال لأحد أن يقوم بأي اعتراض، والتزم الشيخ أحمد علي في تحشيته أن لا يأتي بشيء إلا أن يوضحه بالدلائل والبراهين والنصوص ولا يقول أي شيء بعقله أو فهمه. ولكن توقف هذا العمل على جزء خمسة وعشرين من الصحيح، ولم يتمكن الشيخ أحمد علي من تكميل حواشيه لبعض الأمور المهمة، وبقيت الأجزاء الخمسة أو الستة بدون الحواشي، فأخيرا إنه فوض هذا الأمر المهم إلى الشيخ قاسم النانوتوي ليقوم بتكميله وإعداده للطباعة.

هذه الأجزاء الخمسة أو الستة الأخيرة أكثر صعبا من الأجزاء الباقية وعسيرة في المقامات التي أورد فيها البخاري على أبي حنيفة، فكان أمرا مهما وصعبا شديدا لطالب قد تخرج في ماضي قريب في المدرسة أن يقوم بهذا التعليق والتحشية وليس أكثر من 17 أو 18 سنة من عمره، وأن يتبع أسلوب الشيخ أحمد علي، ويستمر سلسلته في تحشيته، فقام بعض الناس

بشكواهم إلى الشيخ أحمد علي، فيشير مولانا يعقوب النانوتوي إليه "وفي تلك الأيام فوض إليه الشيخ أحمد علي السهارنفوري التعليق وتحقيق الأجزاء المتبقية الخمسة أو الستة لصحيح البخاري، فقام به مولانا قاسم خير قيام، ليسر القراء ويبعث على الإعجاب به والتقدير لـه، وأنى لأحد أن يعمل عمله، وخفي على أناس مقدرته العلمية، فأفضوا بمخاوفهم إلى الشيخ أحمد علي قائلين لـه: ما بالك جعلت هذا العمل الجليل إلى رجل شاب قليل المراس، فرد عليهم الشيخ أحمد علي قائلاً:

"لست بهذه المثابة من السفاهة، فآتي أمرا دون بصيرة منه، وأراهم التعليقات التي قام بإعدادها مولانا قاسم، فإن تلك المواضيع من صحيح البخاري تعد أصعبها وأدقها."[13]

وفي الحقيقة لقد قام الشيخ النانوتوي بهذا العمل أحسن قيام وأدى حقه، وقام بالتزام جميع الأمور التي كان يهتم بها الشيخ أحمد علي في تحشيته.

فترة التعليق على صحيح البخاري

قد تخرج الشيخ النانوتوي في الكلية في عام 1849م وقضى سنة كاملة بعد وفاة استاذه الشيخ مملوك العلي النانوتوي مع إبنه يعقوب النانوتوي، وقضى بعض الأيام في الأمكنة الأخرى، وفي هذه الفترة فوض إليه الشيخ أحمد علي السهارنفوري هذا الأمر المهم، يشير إليه السيد

محبوب رضوي: "سنة طباعة الصحيح للبخاري التي مكتوبة في طباعة مطبوعة مجتبائي أقرب إلى الصحة لدي، فالعبارة "هذه مادة تاريخ ختم الطبع استخرجها المولوي محمد عمر بن المولوي سعيد المجددي، قد طبع أصح كتب بعد كتاب الله 1270ھ" ففي ضوء التفاصيل المذكورة يمكن أن عام 1269ھ/1852م فترة قام فيها قاسم النانوتوي بالتصحيح والتعليق على خمسة أو ستة أجزاء من الصحيح للبخاري"[14]

منهجه في التعليق على الصحيح للبخاري

منهجه في حاشية البخاري تنقيح أقوال الأحناف وتخريجها واثباتها وتوضيحها، وتدور تعليقاته حول تأييد المسلك الحنفي ودعمه بدلائل السنة والإجماع والأقوال والاستنباط، إنه بالغ في تأييد المذهب الحنفي في تعليقه، إنه يأتي في تأييد مذهب الأحناف بأدلة ثابتة من الكتاب والسنة تؤكد استدلاله ويضطر القاري إلى أن يعترف بأن مذهب الأحناف حق، وطبقا لروح الشريعة تماما وأشد إنسجاما مع دلائل الكتاب والسنة، وقد بدأ هذا الأسلوب من الشيخ النانوتوي، وقد كانوا قبل ذلك يكتفون بترجمة الأحاديث وذكر كل المذاهب الفقهية على حدة ولم تكن إثبات الحنفية وترجيحها رائجة من قبل. وفرق جلي بين تحشية الشيخ أحمد علي السهارنفوري والشيخ النانوتوي هو أن الشيخ أحمد علي قد التزام الإيجاز والاختصار في تحشيته والشيخ النانوتوي يلتزم الإطناب والتفصيل في حواشيه.

وإليك بعض النماذج لأسلوب النانوتوي في توضيح وتشريح الكلمات

المبهمة والصعبة التي وردت في روايات صحيح البخاري.

هناك رواية في كتاب الدعوات "باب الدعاء إذا انتبه من الليل" في الصفحة 935، وفي آخر الرواية "اللهم اجعل في قلبي نورا... واجعل لي نورا، قال كريب وسبع في التابوت"، و"سبع في التابوت" في الرواية مبهم، ولم يتوضح معناه، ويحتاج إلى شرحه وتوضيحه وإلا لامجال إلى معناه الحقيقي، فقام الشيخ النانوتوي بشرحه بقوله:

"قوله "سبع في التابوت" أي سبع أعضاء آخر في بدن الإنسان الذي كالتابوت للروح، أو في بدنه الذي ما لـه أن يكون في التابوت أي الجنازة، وفي العصب واللحم والدم والشعر والخصلتان الأخريان، لعلهما الشحم والعظم، أو المراد سبع آخر في الصحيفة مسطورة لا أذكرها، أو مكتوبة موضوعة في الصندوق. قال النووي:: يراد بالتابوت الأضلاع وما يحويها من القلب وغيره تشبيها بالتابوت الذي كالصندوق يحرز فيه المتاع أي سبع كلمات في قلبي ولكني نسيتها ... وقيل المراد سبع أنوار أخرى كانت مكتوبة موضوعة في التابوت الذي كان لبني إسرائيل فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون."[15]

فقد جاء الشيخ النانوتوي بعدد من الاحتمالات وعليك أن تختار منها ما تشاء.

وهناك مثال آخر لحل اللغات، فقد ورد في الصحيح في رفع الأمانة عند قرب القيامة في صفحة 962 بكلمات "ينام الرجل النوم فتقبض الأمانة

من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت، ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شيء الخ".

يحتاج عدد من الكلمات إلى الحل اللغوي، فقام به الشيخ أحسن قيام وكتب:

"أثر الوكت الوكت بفتح الواو وسكون الكاف، وبالمثناة الأثر اليسير، وقيل السواد اليسير، وقيل اللون المحدب المخالف للون الذي كان قبله، والمجل بفتح الميم وسكون الجيم وفتحها هو النفط الذي يحصل في اليدين من العمل بفأس ونحوه، ونفط بكسر الفاء... قال إبن الفارس النفط قرح يخرج في اليدين من العمل ومنتبرا مفتعلا من الانتبار وهو الارتفاع، ومنه المنبر لارتفاع الخطيب عليه، والأمانة: المتبادر منها إلى الذهن المعنى المشهور منها، وهو ضد الخيانة، وقيل المراد منها هو التكاليف الإلهية. الخ".[16]

فيتبين من هذا الشرح المقنع أن لـه معرفة كاملة عن اللغة العربية ورموزها ودقائق كلماتها.

إنه يقول في حاشيته في سند رواية رواها البخاري بسند "حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا الأنصاري قال حدثنا هشام بن حسان الخ" في "باب الدعاء على المشركين" في صفحة 946:

"قولـه حدثنا الأنصاري يريد محمد بن عبد الله بن المثنى القاضي وهو من شيوخ البخاري، ولكنه ربما

أخرج عنه بواسطة كالذي ههنا، وقوله هشام بن حسان هذا وإن تكلم فيه بعضهم من قبل حفظه لكن لم يضعفه بذلك أحد مطلقا بل بقيد بعض شيوخه، واتفقوا على أنه ثبت في الشيخ الذي حدث عنه بحديث الباب وهو محمد بن سيرين قال سعيد بن أبي عروبة ما كان أحد أحفظ عن ابن سيرين من هشام بن حسان."[17]

شاعرية مولانا قاسم النانوتوي

كان الشيخ مولانا قاسم النانوتوي من الشعراء المتضلعين، وشاعرا مجيدا في جميع اللغات من العربية والفارسية والأردية، فكما أن لـه مساهمة جليلة في العلوم الإسلامية في النثر، كذلك إنه قام بالإضافة إلى ثروة العلوم الإسلامية بكلامه المنظوم. إنه قد بدأ يقول الشعر منذ حداثة سنه، وإنه قرض بعض ألعابه وقصصه وسجله، ولكنه كان يخفي أنه شاعر. يبدو من تتبع أشعاره أنه كان شاعرا موهوبا وله قدرة فائقة في نظم الشعر، وكان يملك خيالا خصبا فيبتكر المعاني في القصائد الغزلية ومقطوعاته الشريعة، ومنح النظم أفكارا عالية وعواطف صادقة.

لـه منظومات وقصائد عديدة، وطبعت مجموعة لقصائده بإسم "قصائد قاسمي" وفيها قصيدة غراء في مدح النبي صلى الله عليه وسلم:

من لم يسخر بالبكاء حبيبه ... للالتفات فقد أضاع نحيبه

يا نفس مالك تجز عين تجملي ... ذا كان منه نصيبنا ونصيبه

دع عنك ويلك ذكره وحديثه ... واترك رجاك بعيده وقريبه

فرجاك مقطوع وشوقك ضائع ... والصبر إن صابرت ليس مصيبه

إن جاء جاء مجهزا لذهابه ... كالبدر يطلع يستميل مغيبه

بأبي وأمي لا تزور لنا فهل ... أبقيت شيئاً تشتهي تخريبه

فاالموت من شوق الوصال أخف من ... عيش بـآلام الفـراق عقيبه

وأيضاً

أغرت على عيشي فلو عدت عاديا ذهبت بما غادرته منه باديا
ذهبت بعقلي واصطباري وراحتي وقلبي فلو آثرتني بفؤاديا
تقول تذكرني إذا صرت فارغا عن الغير تكني بانتهاء ودياديا
فهل أنسين اليوم من كان وجهه بعيني أحلى قبل ذا من رقاديا
أ أشغل بالأحباب منك وأنت في فؤادي سويدائي وعيني سواديا
نعم قد شغلتم بالأحبة دوننا ومن قد غدافي ودكم لي معاديا
إذا شئت أن أنساك لا استطيعه وأنسى كثيرا مبديا ومعاديا.الخ

وهناك مختارات من قصيدته الأخرى التي تشتمل على 64 بيتا ومنها:

نفسي وما بيدي فدى إذ لا لكم إن مت دونكم فمن لدلالكم
أنسيتم أيام حسن خصالكم أيام كان حياتنا بوصالكم
إذ أنت دون النفس وهي بعيدة متنا مرارا بالسرور هنا لكم
واليوم نظري مثل شوكة سمرة وتكل أرجلكم بجر ظلالكم
فقتلتنا قتل العدو فقل لنا هذا دلال أم جزاء خلالكم الخ

كان الشيخ النانوتوي يعاصر غالب ومومن ومير تقي مير الذين هم الركبان لمجال الشعر وقواد الشعراء، وكان الشعر في عصرهم وسيلة للتعبير عن الأفكار والأخيلة، وكان الشيخ النانوتوي لـه قدرة كاملة على اللغة الأردية والفارسية، فنه نظم القصائد والأشعار في هاتين اللغتين أيضاً، فتعادل أبياته أبيات مير تقي مير وغالب.

ومن أغر قصائده تلك القصيدة التي نظمها في لغته الأم وهي معروفة بـ "قصيدة بهارية در نعت النبي صلى الله عليه وسلم (القصيدة البهارية في

مدح النبي صلى الله عليه وسلم)".

هذه القصيدة تشتمل على 151 بيتا، وتدل على قدرته الفائقة في النظم وتمكنه من اللغة إنه يبدأ القصيدة بهذه الأبيات:

نہوے نغمہ سرا کس طرح سے بلبل زار
کہ آئی ہے نئے سر سے چمن چمن میں بہار
ہر اک کو حسب لیاقت بہار دیتی ہے
کسی کو برگ، کسی کو گل اور کسی کو بار
کیا ہے بھیج کے سیل آب چاہ کو معزول
بجائے باد صبا، بوئے گل ہے کار گزار
کریں ہیں مرغ چمن سارے مشق موسیقی
کہ گانے ہیں انھیں اس سال شکر حق میں ملار

وهناك نموذج آخر من أشعاره:

رقیب مہر کے قابل عدو وفا کے لیے
بنے تھے ہم ہی فقط آپ کی جفا کے لیے
ہمیں تو صبر کو کہتے ہیں شیخ واعظ سب
انہیں تو کوئی بھی کہتا نہیں وفا کے لیے

ومن منظوماته في اللغة الفارسية:

الٰہی غرق دریائے گناہم
تو میدانی وخود ہستی گواہم
گناہ بے عدد را با بستم
ہزاراں بار توبہ ہا شکستم
زمن وارد سگِ نصرانیاں عار
کہ ہست او بے گناہ ومن گنہگار
حجاب مقصدم عصیان من شد
گناہ موجبِ حرمانِ من شد

الهوامش

[1] مشتاق أحمد انبيتهوي: أنوار العاشقين، مجلس إشاعة العلوم حيدر آباد دكن، 1914م، نقلا عن مولانا قاسم نانوتوي ابنى معاصر تذكره نغارون كي نظر مين، مرتب نفيس الحسيني، سيد احمد شهيد إكادمي، طبعه 1، 2003م، ص71

[2] الإمام محمد قاسم نانوتوي: حيات، أفكار، خدمات، تنظيم أبنائ قديم دار العلوم ديوبند، 2005م، ص96

[3] أكبر شاه بخاري: أكابر علمائي ديوبند، إدارة إسلاميات 190، أنار كلي، لاهور، ص6

[4] الإمام محمد قاسم نانوتوي: حيات، أفكار، خدمات، تنظيم ابنائي قديم، دار العلوم ديوبند، ص167

[5] عزيز الرحمن: تذكره مشائخ ديوبند، إداره مدني دار التأليف، بجنور يوبي، ص111

[6] الامام محمد قاسم نانوتوي: حيات، أفكار، خدمات، تنظيم ابنائي قديم، ص107

[7] قاسم النانوتوي: حجة الإسلام (ترجمة عربية لأبي عفيفة القاسمي) نقلا عن المجلة الداعي، العدد 4-3 السنة 26، مايو -يوليو 2002م، ص12

[8] قاسم النانوتوي: حجة الإسلام (ترجمة عربية لفخر الحسن الكنكوهي) نقلا عن الداعي العدد 5، السنة 26، يوليو-اغسطس 2002م، ص13-14

[9] قاسم النانوتوي: انتصار الإسلام، نقلا عن الداعي، العدد 2-1، السنة 28، مارس-ابريل، 2004م، ص19-18

[10] نفس المصدر، ص20

[11] مناظر أحسن الكيلاني: سوانح قاسمي، مطبوعة دلهي، ج2، ص64، نقلا عن الامام محمد قاسم النانوتوي، حيات، افكار، خدمات، تنظيم أبنائي قديم دار العلوم ديوبند، ص244

[12] أسير ادروي: مولانا محمد قاسم نانوتوي، حيات اور كارنامى، شيخ الهند اكيدمي، دار العلوم ديوبند، 1997م، ص419

[13] يعقوب النانوتوي: سوانح قاسمي، المطبعة المجتبائية، 1894م، ص9

[14] محبوب رضوي: تاريخ دار العلوم ديوبند (اردو) إدارة اهتمام دار العلوم، ديوبند، 1992م، ص112-111

[15] الإمام محمد قاسم نانوتوي: حيات، افكار، خدمات، تنظيم ابنائي قديم، دار العلوم ديوبند، ص303

[16] نفس المصدر، ص304

[17] نفس المصدر، ص304-303

الخاتمة

إن الشيخ قاسم النانوتوي قد عاش في زمن كان مسلمو الهند يواجهون الصعوبات والتحديات الخارجية والداخلية كليهما في وطنهم.

أما التحديات الخارجية فهي كانت فتن الاستعمار الإنكليزي السائدة في كل مجال من المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية. وكان الهدف الرئيسي للاستعمار هم المسلمون ودينهم الإسلامي وعقائدهم، وكانت حركة التنصير والتبشير أشد خطرا لإيمانهم وعقائدهم الإسلامية.

أما التحديات الداخلية فهي كانت تلك الحركات الضالة التي نشأت بحماية الإنكليز ضد الإسلام والمسلمين في وطنهم العزيز ومنها حركة آرية سماج الهندوكية، ومن تلك الفتن هي التي نشأت من بين المسلمين ومنها فتنة أهل التشيع، وفتن البدعات والخرافات والتقاليد والمحاكات في الشؤون الدينية السائدة فيما بين المسلمين والمجتمع الإسلامي.

فخلق كل هذا في نفس الشيخ النانوتوي الضيق والتنفر، فركز اهتمامه على محو هذه الفتن وقبول تلك التحديات والصعوبات الداخلية والخارجية ومواجهتها ، فرفع لواء الجهاد ضد الاستعمار الانجليزي، وشارك في الثورة الشعبية في عام 1857م مشاركة فعالية وأبلي فيها بلاء احسنا. وبعد إخفاق هذه الثورة قام بمقاومة الغزوالفكري والثقافي الغربي

الذي كان يستهدف التقاليد القومية الهندية عامة والتراث الثقافي الديني الإسلامي والعقائد الإسلامية خاصة. وقام بإنشاء سلسلة من المعاهد والمدارس التعليمية الدينية في مختلف أنحاء البلاد، وأنشأ أول معهد من هذا النوع في قرية ديوبند قد أصبح أم المعاهد وأكبر الجامعات الإسلامية العربية في شبه القارة الهندية في مدة قصيرة.

ثم ركز الشيخ النانوتوي اهتمامه على إذلال النصارى والأساقفة ومساعديهم من الفرق الضالة مثل تاراشند والباندت دياننند سرسوتي وغيرهما في ساحة المناظرة. وكذلك إنه قام بإصلاح المجتمع الإسلامي وتزكيته من الممارسات والتقاليد القبيحة التي قد تسربت إليه، ووضع الشيخ منهجا قويما للدعوة والإصلاح على بصيرة وتجربة وعلم، واختار أسلوبين لحركته الإصلاحية (1) المناظرة والخطب والمحاضرات في الأوساط الخاصة والعامة، واللقاء معهم والتحدث إليهم (2) الكتابة والتأليف وتحرير الكتب والرسائل.

ولقد كان جل نشاطاته وأعماله ومؤلفاته ومحاضراته ورحلاته تركز على المناظرة والرد على افتراءات أعداء الإسلام وأكاذيبهم، والدعوة إلى الله وإصلاح المجتمع. وإنه يعالج فيها العقائد والكلام والتاريخ الإسلامي.

إنه ألف كتبا قيمة حول هذه الموضوعات وخلف لنا تراثا علميا ضخما لا يمكن صرف النظر عنها.

المصادر والمراجع

الكتب العربية

- أبو الحسن البلاذري: فتوح البلدان، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1983م
- أبو الحسن علي الندوي: إذا هبت ريح الإيمان، دار عرفات للثقافة والنشر تكيه كلان رائ بريلي، الهند، 1980م
- أبو الحسن علي الندوي: أضواء على الحركات والدعوات الدينية والإصلاحية في الهند، المجمع الإسلامي العلمي ندوة العلماء، 1995م
- أبو الحسن علي الندوي: المسلمون في الهند، المجمع الإسلامي، ندوة العلماء لكناؤ، الهند، 1998م، ط4
- أبو الحسن علي الندوي: ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين، المجمع الإسلامي العلمي ندوة العلماء لكناؤ، الهند
- أشفاق أحمد: مساهمة الهند في النثر العربي خلال القرن العشرين، ترانزت هاؤس، جى اين يو، نيو دهلي، 2003م
- الجناح الآسيوي: تاريخ العالم الإسلامي- الحديث والمعاصر، دار المريخ للنشر والتوزيع، الرياض، 1984م
- رحمت الله الكيرانوي: إظهار الحق، الشؤون الدينية بدولة قطر، ج1
- زبير أحمد الفاروقي: مساهمة دار العلوم بديوبند في الأدب العربي، دار الفاروقي دهلي الجديدة، الهند

- عبد الحي الحسني: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام يعني نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، مكتبة دار عرفات، إدارة الشيخ علم الله، رائي بريلي، الهند، 1992م، 7ج
- عبد الحي الحسني: الهند في العهد الإسلامي، دار عرفات رائي بريلي الهند، 2001م
- عبد المنعم النمر: كفاح المسلمين في تحرير الهند، مكتبة وهبة شارع الجمهورية بعابدين، 1964م، ط1
- محمد عبد القادر خليل: المناظرة الكبرى، دار ابن تيمية للنشر والتوزيع، والإعلام، الرياض، ط1
- مسعود عالم الندوي: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، دار العربية

الکتب الاردیة

- اسیر ادروی: تحریک آزادی اور مسلمان، دار المؤلفین، دیوبند، ۱۹۸۸
- اسیر ادروی: دار العلوم دیوبند احیاء اسلام کی عظیم تحریک دار المولفین دیوبند، ۱۹۹۹م، ط۴
- تنظیم ابنائے قدیم دار العلوم دیوبند: حجۃ الاسلام الامام محمد قاسم نانوتوی، حیات، افکار، خدمات، نئی دہلی ۲۰۰۵م
- سر سید احمد خان: اسباب بغاوت ہند، یونیورسٹی پبلشرز، مسلم یونیورسٹی علی گڑھ
- سعید احمد اکبر آبادی: علماء ہند کا سیاسی موقف مجلس یادگار شیخ الاسلام کراچی، پاکستان
- سید ابراہیم فکری: ہندستانی مسلمانوں کا جنگ آزادی میں حصہ، غفار منزل، جامعہ نگر، ۱۹۹۶م
- سید محمد میان: علماء حق اور ان کے مجاہدانہ کارنامے، الجمعیۃ بکڈپو قاسم جان اسٹریٹ، دہلی، ج۱
- سید محمد میاں: علماء ہند کا شاندار ماضی، ایم برادرس کتابستان، قاسم جان اسٹریٹ
- عبد الرشید ارشد: بیس بڑے مسلمان، مکتبہ رشیدیہ، ۲۵ لوئر مال لاہور، ۲۰۰۶م
- عبد اللہ عثمانی: چند مشاہیر، الحیاء پبلیکیشنز نزد مسجد رشید، دیوبند
- قاری محمد طیب: دار العلوم دیوبند کی پچاس مثالی شخصیات، فرید بک ڈپو، نئی دہلی، ۲۰۰۶م
- قاسم النانوتوی: انتصار الاسلام، کتب خانہ اعزازیہ، دیوبند
- قاسم النانوتوی: حجۃ الاسلام، مجلس معارف القرآن، دار العلوم دیوبند، ۱۹۶۷م
- قاسم النانوتوی: قبلہ نما، شعبہ نشر واشاعت دار العلوم دیوبند، ۱۹۶۹م
- قاسم النانوتوی: مباحثہ شاہجہانپور، کتب خانہ اعزازیہ، دیوبند
- محبوب رضوی: تاریخ دار العلوم دیوبند، ادارہ اہتمام دار العلوم دیوبند، ۱۹۹۲م، ج۱

محمد اکبر شاہ بخاری: اکابر علماء دیوبند، ادارہ اسلامیات، ۱۹۰، انارکلی لاہور

- محمد اکرام: موج کوثر، فرید بکڈپو لمیٹیڈ
- مشتاق احمد انبیٹھوی: انوار العاشقین، مجلس اشاعۃ العلوم، حیدر آباد، دکن ۱۹۱۴م

- مفتی عزیز الرحمٰن: تذکرہ مشائخ دیوبند، ادارہ مدنی دارالتالیف، بجنور، اتر پردیش
- مناظر احسن گیلانی: سوانح قاسمی، مطبوعہ دہلی، ج ۲
- نفیس الحسینی: مولانا قاسم نانوتوی اپنے معاصر تذکرہ نگاروں کی نظر میں، سید احمد شہید اکادمی، ۲۰۰۳م، ط ۱
- نور الحسن راشد کاندھلوی: قاسم العلوم، احوال و آثار و باقیات و متعلقات، مکتبہ نور محلّہ مولویان، کاندھلہ، مظفر نگر
- یعقوب نانوتوی: سوانح عمری مولانا قاسم نانوتوی، مطبع مجتبائی، دہلی، ۱۸۹۴م

English Books

Dev Indira Arjun: Modern India NCERT New Delhi 2003

Nehru Jawaharlal: The Discovery of India, Jawaharlal Nehru Memorial Fund, Teen Murti house New Delhi. 1988

Chandra Satish: Medieval India NCERT New Delhi 2005

Chandra Bipan: Modern India NCERT New Delhi 1976

الجرائد والمجلات

- ثقافة الهند: المجلس الهندي للعلاقات الثقافية آزاد بهون، نيو دهلي، المجلد 1، العدد 1، مارس 1950م
- ثقافة الهند: المجلس الهندي للعلاقات الثقافية آزاد بهون، نيو دهلي، المجلد 1، العدد 2، يونيو 1950م
- ثقافة الهند: المجلس الهندي للعلاقات الثقافية آزاد بهون، نيو دهلي، المجلد 9، العدد 4، ديسمبر 1958م
- ثقافة الهند: المجلس الهندي للعلاقات الثقافية آزاد بهون، نيو دهلي، المجلد 54، العدد 1-2، 2003م
- الداعي: دار العلوم بديوبند: العدد 12، السنة 27، فبراير 2004م
- الداعي: دار العلوم بديوبند: العدد 1-2، السنة 28، مارس- ابريل 2004م
- الداعي: دار العلوم بديوبند: العدد 3-4، السنة 26، مايو-يوليو 2002م
- الداعي: دار العلوم بديوبند: العدد 4-5، السنة 28، يونيو-يوليو-2004م
- الداعي: دار العلوم بديوبند: العدد 5، السنة 26، يوليو-أغسطس 2002م
- الداعي: دار العلوم بديوبند: العدد 7، السنة 20، ديسمبر 1994م
- الداعي: دار العلوم بديوبند: العدد 8، السنة 26، اكتوبر-نوفمبر 2002م
- الداعي: دار العلوم بديوبند: العدد 9-10، السنة 26، نوفمبر-ديسمبر 2002م

- عدد خاص لمحمد قاسم النانوتوي من "صفا" مجلة فصلية أردية قسم الطبع والنشر دار العلوم سبيل السلام، مدينة العلم حيدر آباد، أبريل-مايو-يونيو 2000م
- ماهنامه جهان كتب (حكيم الإسلام نمبر) 2006م.

المحتويات

المقدمة	4
الباب الأول	10
المسلمون في الهند	
الباب الثاني	44
مولانا قاسم النانوتوي – ترجمة موجزة لحياته	
الباب الثالث	73
مساهمة مولانا قاسم النانوتوي في الدراسات الإسلامية	
دراسة نقدية	
الخاتمة	108
المراجع	110
المحتويات	116